فايز موسى ابو شيخة

الجزء الأول

رجال... ومواقف

بسم الله الرحمن الرحيم

« فاتحة لكل خير وتمام لكل نعمة »

رجال ... ومواقف

الجُزء الأوّل

اعـداد
فايز موسى أبو شيخة

مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مكتبة الفلاح - الكويت
للنشر والتوزيع

شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
تلفون: ٢٦٤٧٧٨٤
ص.ب: ٤٨٤٨ الصفاة الرمز البريدي 13049 الكويت
برقيا: لفاتكو

فهرس الجزء الأول

المقدمة ٧

١ ـ أتذكر إذا لحافك جلد شاة ١١

٢ ـ ابتلاء الله لثلاثة من بني إسرائيل ١٤

٣ ـ في الوفاء بالدين والاستعانة بالله عليه ١٦

٤ ـ كيد الشيطان ١٨

٥ ـ توبة من قتل ٩٩ نفساً ١٩

٦ ـ الأعمال الخيرة نجاة من الضيق ٢١

٧ ـ أبي الذل ٢٣

٨ ـ الملك والساحر ٢٥

٩ ـ في الحكم على ظاهر الأعمال ٢٨

١٠ ـ الأعراب في جهدهم وضنك عيشهم ٣٠

١١ ـ فداء عبدالله ٣٣

١٢ ـ في حفر زمزم ٣٦

١٣ ـ عبدالملك وابن هبيرة ٣٩

١٤ ـ الغضب لله والغضب للدينار ٤٢

١٥ ـ سيف بن ذي يزن والبشارة بالرسول ٤٥

١٦ ـ ارحموا عزيزاً ذل ٤٩

١٧ ـ الحرب خدعة ٥١

١٨ ــ الوفاء بالميثاق ٥٤
١٩ ــ عند النجاشي ٥٧
٢٠ ــ حارس الثغور بين يدي الله ٦٠
٢١ ــ إسلام أبي ذر ٦٢
٢٢ ــ شجاعة أبي محجن يوم القادسية ٦٤
٢٣ ــ أبو سفيان عند هرقل ٦٦
٢٤ ــ في يوم اليرموك ٧٠
٢٥ ــ رجل صدق الله فمات شهيداً ٧٣
٢٦ ــ عمر يكرم الإعرابية ٧٤
٢٧ ــ إله عمر يعلم ٧٦
٢٨ ــ تحمل الشدائد في سبيل الله ٧٧
٢٩ ــ قد كاد أميركم يهلك ٧٩
٣٠ ــ جود عثمان بن عفان ٨٦
٣١ ــ عمر يتفقد رعيته ٨٨
٣٢ ــ حق حماة الثغور في مال الدولة ٩٠
٣٣ ــ في فتح نهاوند ٩٣
٣٤ ــ قصة عمير بن سعد الأنصاري ٩٥
٣٥ ــ زعيم العجم وعمر بن الخطاب ٩٩
٣٦ ــ بعد طعن عمر بن الخطاب ١٠٠
٣٧ ــ عمرو بن العاص وأحد كفار العجم ١٠٤
٣٨ ــ اختبار الأجواد ١٠٦
٣٩ ــ حكيم ١٠٨
٤٠ ــ هرقل يختبر معاوية ١١٠
٤١ ــ عند ملك الصين ١١٢

٤٢ ـ الحجاج وأنس بن مالك ١١٥
٤٣ ـ ذكرتني يوم النفخ في الصور ....
٤٤ ـ نصيحة ١٢٣
٤٥ ـ لا أحمد إلاّ الله ١٢٥

مقدمة

الحمدلله مبدع كل شيء، له العزة والكبرياء، خلق الخلق وانزل عليهم الكتاب بالحق فيه عظات وعبر، والصلاة والسلام على البشير النذير محمد ﷺ خير البشر .

أما بعد،،

لقد كان العرب أصحاب فطرة صافية، ومنهج واقعي في السلوك، استطاعوا أن يصوغوا القول الحكيم، وقلَّ أن تجد شاعراً لا ينطق بالحكمة التي تأتي في شعره عن غير قصد، أو خطيباً لا يهدي النفوس، ويقنع الخصوم، أو يدعو إلى مكرمة، وينفر من مذمة، ناصحاً يقدم لقومه ما ينفعهم، وينفرهم مما يضرهم، ويقدم لهم خلاصة التجارب التي خاضها في الحياة.

ولما جاء الإسلام وأشرقت شمس الهداية الربانية على هذه النفوس زادها صفاء في تفكيرها، واستقامة في لغتها، وتمسكاً بمكارم الأخلاق لقد اصطفى الله سيدنا محمد ﷺ، رسولاً للعالمين، وأنزل عليه قرآناً يهدي للتي هي أقوم، وحكمة يتمسك بها ويقتدى بها المسلمون قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء ١٣٣

وقال عليه الصلاة والسلام: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[١] .

---

(١) رواه البخاري، صحيح الجامع الصغير رقم ٣٣٦٢.

وقد خلّف هؤلاء أقوالاً نادرة، وعظات بليغة، وأحكام فريدة، وقصص مؤثرة، اهتم بها الكتّاب والرواة، ولكن كلما اطلعت على هذه الكتب التي تجمع ذلك وجدت أنها ملئت بالغثّ والثمين، والجيد والرديء، والواقعي والخيالي. فاستعنت بالله، وقمت بجمع ما رأيتُه حسناً في بابه، ما يجد فيه القارىء نوراً يسطع في كل جوانب الحياة. يحض على الفضيلة، يدعو إلى مكارم الأخلاق.

وكل قصة من هذه القصص. توضح لنا جرأة بعض العلماء في قول الحق، وسلامة صدر بعض الأمراء والحكام في الانقياد لحكم الله، ومحافَظَة الصفوة من البشر على الوفاء والصدق والأمانة، والاستقامة، ورد الجميل.. الخ.

* * *

وكان رائدي في جمع هذه القصص هو ما ذكره الله سبحانه وتعالى ـ على لسان سيدنا شعيب ـ عليه السلام بقوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. هود ٨٨

* * *

وإني إذ أقدم هذا الكتاب إلى القراء آمل أن يتسع صدر القارىء فما وجَد فيه من أثر طيب فهو من الله، وما وجد فيه من أخطاء ـ فهي من غير قصد.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا يوم القيامة..

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

فايز أبو شيخة

١

أتذكر إذ لحافك جلد شاة !

تذاكر جماعةٌ فيما بينهم آثار معن[١] وأخبارَ كرمه، معجَبين بما هو عليه من التُّؤَدة ووَفْرَة[٢] الحلم، ولِين الجانب، وغالَوْا في ذلك كثيراً؛ فقام أعرابيّ، وأخذ على نفسه أن يُغْضِبَه، فأنكروا عليه، ووعده مائة بعير، إن هو فَعَل ذلك.

فَعَمَد[٣] الأعرابيّ إلى بعيرٍ فسلخه، وارتدى بإهَابه[٤] واحْتَذَى[٥] ببعضه جاعلاً باطنَه ظاهراً، ودخل عليه بصورته تلك، وأنشد يقول:

أتذكر إذْ لحافُك جلد شاة وإذ نَعْلاك من جلدِ البعيرِ!

قال معن: أذكرُه ولا أنساه! فقال الأعرابيّ:

فسبحان الذي أعطاك مُلْكاً وعلَّمك الجلوسَ على السريرِ!

فقال معن: إنَّ الله يُعزّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، فقال الأعرابيّ.

فلست مسلِّماً إن عِشْتُ دهراً على مَعْن بتسليمِ الأميرِ

(١) من أشهر أجواد العرب، أدرك العصرين: الأموي والعباسي، ولاه المنصور إمارة سجستان، فأقام بها، ثم قتل بها غيلة سنة ١٥١هـ.
(٢) كثرة.
(٣) عمد إلى الشيء: قصد إليه.
(٤) الإهاب: الجلد ما لم يدبغ.
(٥) احتذى: انتعل.

فقال معن: السلام خير، وليس في تركه ضَيْر[1]، فقال الأعرابيّ:

سـأرْحَـلُ عـن بـلادٍ أنتَ فيهـا ... ولـو جـار الـزمـانُ على الفـقيـر

فقال معن: إن جاوَرْتَنا فمرحباً بالإقامة، وإن جاوَزْتنا فمصحوباً بالسلامة فقال الأعرابي:

فَجُـدْ لي يَـا ابْنَ[2] نـاقصةٍ بمـال ... فـإني قـد عَـزَمْتُ عـلى المسيـر

فقال معن: أعطوه ألف دينار، تخفِّفُ عنه مشاقَّ الأسفار، فأخذها وقال:

قـليـلٌ مـا أتيـتَ بـه وإنـي ... لأطمـعُ منـك في المـال الكثيـر

فثنِّ فـقـد أتـاك الـمـلْكُ عَـفْـواً ... بـلا عَـقْـلٍ ولا رَأْيٍ مُـنِـيـرِ

فقال معن: أعطوه ألفاً ثانياً، كي يكونَ عنَّا راضياً، فتقدم الأعرابيّ إليه، وقبَّل الأرض بين يديه وقال:

سـألـتُ الله أن يُبـقـيـك دَهْـراً ... فمـالـك في البـريَّـة من نـظيـر

فمنـك الـجـودُ والإفْضَـال حَـقّـاً ... وفَيْضُ يـديـك كـالبَحْـرِ الغـزيـرِ

فقال معن: أعطيناه على هجوِنا ألفين، فليُعْط أربعةً على مدحنا.

قال الأعرابي: بأبي أيها الأمير ونفسي! فأنت نسيجُ وحدك في الحلم، ونادرةُ دَهْرِك في الجود ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. ولقد كنت في صفاتك بين مصدِّقٍ ومُكَذِّبٍ، فلما بَلَوْتُك صَغَّر الخُبْرُ[3] الخبَرَ، وأذْهب ضعفَ الشكِّ قوةُ اليقين، وما بعثني على ما فعلت إلا مائةُ بعير جعلتْ لي على إغضابك.

---

(١) الضير: الضرر.

(٢) يا ابن ناقصة بدلاً من قوله: ابن زائدة.

(٣) الخبر: المخبر.

فقال له الأمير: لا تَثْرِيب[1] عليك! ووصله بمائتي بعير: نصْفُها للرهان والنصف الآخر له؛ فانصرف الأعرابيُّ داعياً له، شاكراً لِهِبَاته، مُعْجَباً بِأَنَلتِه.

بحر الآداب ٣ ـ ٢٦٣

قصص العرب ج٣ ص ٢٤٣

---

(١) لا تثريب: لا لوم عليك.

٢

إبتلاء الله لثلاثة من بني اسرائيل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً. . فقال فأي المال أحب إليك قال الإبل فأعطه ناقة عشراء[١]، فقال بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فقال أي شي أحب إليك؟

قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذّرني الناس فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال البقر فأعطي بقرة حاملاً وقال بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك قال أن يرد الله بصري فأبصر الناس فمسحه فردَّ الله إليه بصره قال فأي المال أحب إليك قال: الغنم فأعطي شاةَ والداً فأنتج هذا وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم.

---

(١) الناقة العشراء: الحامل.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال[1] في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال.. بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال الحقوق كثيرة فقال كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله فقال إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر.. فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك.. أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فردَّ الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك[2] اليوم بشيء أخذته لله عزّ وجلّ فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك» متفق عليه..

من كتاب منهل الواردين، شرح رياض الصالحين، للإمام النووي صفحة ٩٥.

(١) انقطعت بي الحبال: انقطعت الأسباب.
(٢) لا أجهدك: لا أشق عليك.

٣

في الوفاء بالدين والاستعانة بالله عليه

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال فأتني بالكفيل قال: كفى بالله كفيلاً، قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى.

فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أني كنت قد تسلَّفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضي بك وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضي بك وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وأني استودعكها.

فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركباً قد جاء بمالِه فإذا الخشبة التي فيها المال فأخذه لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدِم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه قل قال: هل كنت بعثت إليَّ

بشيء؟ قال: أُخبرك إني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه قال فإنَّ الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرِف بالألف دينار راشداً.

منهاج الصالحين، عز الدين بليق صفحة ٨٦٥.

٤

كيد الشيطان

قال عبدالله بن مسعود: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أخوة أربعة؛ وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب. قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له: أقتلها ثم ادفنها فإنك رجل تصدق ويسمع قولك. فقتلها ثم دفنها قال، فأتي الشيطان اخوتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا.

فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك قالوا: لا، بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه. ثم انطلقوا به فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به فأتاه الشيطان فقال اني أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وانجيك مما اوقعتك فيه قال فسجد له.

فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل. فلذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص١٣٦.

---

(١) الحشر: ١٦ - ١٧.

٥

توبة من قتل ٩٩ نفسا

عن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على راهب «عابد بن عباد بني إسرائيل» فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال لا. فقتله فكمل به مئة.

ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم فقال إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها إناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط:

فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال: قيسوا ما بين الأرضين: فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة.. متفق عليه: وفي رواية «فكان إلى القرية الصالحة

أقرب بشبر فجعل من أهلها ـ وفي رواية فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له».

منهل الواردين ج١/٥٦

٦

الأعمال الخيرة
نجاة من الضيق

عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللَّهمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[١].

قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أُرِح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غَبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثت ـ والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى بَرقَ الفجر والصبية يتضاغون[٢] عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللَّهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

---

(١) لا أغبق: أي لا أقدم في الشرب عليهما أهلاً ولا مالاً.

(٢) يتضاغون: يصيحون من الجوع.

قال الآخر.. «اللّهمَّ كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ» وفي رواية كنت أحبُّها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى أَلَّمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها فَعَلت حتى إذا قَدَرت عليها وفي رواية «فلما قعدت بين رجليها قالت: «**اتق الله ولا تَفضَّ الخاتم إلاّ بحقه فانصرَفت** عنها وهي أحب الناس إليَّ وتركتُ الذهب الذي أعطيتها.. اللّهمَّ أن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللّهم إني استأجرت أُجْراءً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمَّرْت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: ياعبدالله إدَّ إليَّ أجري فقالت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال ياعبدالله لا تستهزىء بي: فقلت: لا أستهزىء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً: اللّهمَّ أن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنَّا ما نحن فيه.. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» متفق عليه..

منهل الواردين للنووي ج١/٤٨

٧

أبي الذل

قال عمرُو بن[١] هند صاحب الحيرة يوماً لجُلسائه: هل تعلمون أنَّ أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنَفُ أنْ تخدم أُمُّه أمي؟ قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عَمْرو[٢] بن كلثوم التَّغلبي، فإنَّ أُمَّه ليلى بنت مُهلهل بن ربيعة وعمُّها كُلَيب، وزوجها كلثوم، وابنها عمرو؛ فسكت عمرو على ما في نفسه، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يَسْتَزيره، ويأمره أن تزور أُمُّه ليلى أمَّه هند بنت الحارث.

فقد عمرو بن كلثوم في فُرسانِ بني تَغْلِب، ومعه أمُّه ليلى، فنزل على شاطىء الفُرات، وبلغ عَمْرو بن هند قدومُه، فأمر فضُرِبت خيامه بين الحِيرة والفرات، وأرسل إلى وُجُوه أهل مملكته، وصنع لهم طعاماً، ثم دعا الناسَ إليه فقرَّب إليهم الطعامَ على باب السُّرادق، وجلس هو وعَمْرو بن كلثوم وخواصُّ أصحابه في السرادق، وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القُبَّة، وقال عَمْروٌ لأمه: إذا فرغ الناس من الطعام، ولم يبق إلاَّ الطُّرَف[٣] فَنَحِّي خَدَمك عنك واستخدمي ليلى

---

(١) عمرو بن هند: متلك الحيرة في الجاهلية، عرف بنسبته إلى أنه هند. ويلقَّب بالحرن، وهو صاحب صحيفة المتلمس، وقاتل طرفه بن العبد، وكان شديد البأس، كثير الفتك هابته العرب وأطاعته القبائل وتوفي سنة ٥٧٨هـ.

(٢) عمرو بن كلثوم: صاحب المعلَّقة المشهورة، وينتهي نسبه إلى تغلب، وكان فراساً شاعراً، وهو أحد فتَّاك العرب، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن.

(٣) الطرف: جمع طرفة: ما تعطيه غيرك، ويراد به ما يتنقل به بعد الطعام.

ومُرِيها فلْتُناولك الشيء بعد الشيء؛ ففعلت هند ما أمرها به ابنُها، فلما اسْتدعى الطُّرَف قالت هند لليلى: ناوليني الطَّبَق! قالت: لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها! فألحت عليها، فقالت ليلى: واذُلَّاه ياآل تغلب!.

فسمعَها ولدُها عَمْرو بن كليوم؛ فثار الدم في وجهه؛ والقوم يشربون، فعرف عَمْرو بن هندي الشرَّ في وجهه، وثار ابنُ كلثوم إلى سيْفَ ابن هند معلَّق بالسُّرادق ـ وليس هناك سيفٌ غيره ـ فأخذه، ثم ضرب به رأس عَمْرو بن هند فقتله، وخرج فنادى يا آل تغلب! فانتهبوا مالَه وخيله، وسَبَوُا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة. وفي هذه الواقعة قال عمرو بن كلثوم معلقته المشهورة:

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا
بأي مشيئة عمرو بن هند ترى أنا نكون الأرذلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وتوعدنا رويداً متى كنَّا لأمك مقتوينا

ابن الأثير ١ ـ ٢٣١،
بلوغ الأرب: ٢ ـ ١٤٢، قصص العرب ٤ ـ ٢٤٥.

٨

الملك والساحر

عن صُهيْب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال..

كان مَلكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه وكان في طريقه إذا سلك ـ راهب ـ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه.

وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقال: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللَّهمَّ إن كان أمْرُ الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بُنيّ، أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء (الأمراض).

فسمع جليس للملك كان قد عَمي فأتاه بهدايا كثيرة: فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى فإن آمَنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. قال أولك رب غيري؟ قال ربِّي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام فجيىء بالغلام فقال له الملك أي بُنيّ قد بلغ سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل! فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب فجيىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّه حتى وقع شقَّاه ثم جيىء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقَّاه ثم جيىء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللَّهمَّ أكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال: كفانيهم الله تعالى.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور (سفينة عظيمة) وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللَّهمَّ اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى.

فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به: قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: **بسم الله رب الغلام**، ثم ارم فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فمات فقال الناس «آمنَّا بربِّ الغلام» فقيل له أرأيت ما

كنت تحذر، قد والله نزل بك حذَرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك (أبواب الطرق) فَخدَّت (شُقت) وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌ فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يأماه اصبري **فإنَّك** على الحق - رواه مسلم.

منهل الواردين للنووي ج١/٧٤.

٩

في الحكم على ظاهر الأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

لم يتكلم في المهد إلاَّ ثلاثة: عيسى بن مريم وصاحب جريح . .

وكان جريح رجلاً عابداً فاتَّخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: ياجريج. فقال: يارب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: ياجريج. فقال: أي رب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فلما كان من الغد أتته وهو يصلي وقالت: ياجريج. فقال: أي رب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فقالت: اللَّهمَّ لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.

فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته. . وكانت امرأة بَغِيّ يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننَّه فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً وكان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولَدَت قالت هو من جُريج.

فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك قال أين الصبي! فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي. . فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعنه في بطنه وقال ياغلام من أبوك قال

فلانا الراعي فأقبلوا على جُريج يقبِّلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال: لا. أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.

وبينما صبي يرضع من أمِّه فمرَّ رجل راكب على دابةٍ فارهة وشَارةٍ حسنة فقالت أمه اللَّهمَّ اجعل ابْني مثل هذا فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه وقال اللَّهمَّ لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فيه فجعل يمتصُّها.

ثم قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زَنَيت سَرقت.. وهي تقول حَسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه: اللَّهمَّ لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال اللَّهمَّ اجعلني مثلها.

فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة، فقلت اللَّهمَّ اجعل ابني مثله فقلت اللَّهمَّ لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة، وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللَّهمَّ لا تجعل ابني مثلها فقلت اللَّهمَّ اجعلني مثلها.. قال إن ذلك الرجل جبار فقلت اللَّهمَّ لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللَّهمَّ اجعلني مثلها. (متفق عليه).

منهل الواردين، شرح رياض الصالحين
للإمام النووي صفحة ٢٢١.

١٠

الأعراب في جهدهم وضنك عيشهم

قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشة: أحبُّ أن تحدِّثني عن العرب وجهدها وضَنْك عيَشها، لنَحمد الله على النعمةِ التي أصْبحنا بها، فقال غيلان: حدَّثني عمي قال:

توالت على العرب سنونَ تسعٌ في الجاهلية حطَمت كلَّ شيء، فخرجتُ على بَكْر لي في العرب، فمكثت سبعاً لا أطعَمُ إلا ما ينَالُ منه بعيري، أو من حشرات الأرض، فشدَّدت على بطني حجَراً من الجوع، حتى دفعتُ في اليوم السابع إلى حِوَاءٍ[1] عظيم، فإذا بيتٌ جُحِش[2] عن الحي، فَمِلْتُ إليه، فخرجت إليَّ امرأة طُوَالة[3] حُسَّانة[4]، فقالت: مَنْ؟ قلتُ: طارقُ ليل، يلتمسُ القِرى! قالت: لو كان عندنا شيء لآثَرْنَاكَ به، والدالُّ على الخير كفاعله، حِسَّ[5] هذه البيوت، ثم انظر إلى أعظمها فإن يك في شيء منها خيرٌ ففَيه.

ففعلت حتى دَفَعْتُ إليه، فرحَّب بي صاحبهُ، وقال: من؟ قلت: طارق

---

(١) الحوا البيوت المتدانية.
(٢) جحش: نحى وأبعد عن البيوت.
(٣) طوالة: طويلة القامة.
(٤) حسانة: حسناء.
(٥) حسن: تعرف أحوالها.

ليل، يلتمس القِرى. فقال: يافلان، فأجابه، فقال: هل عندك طعامَ؟ فقال: لا، فوالله ما وقرَ[1] في أذُني شيء أشدّ عليَّ منه.

قال: فهل عندك شراب؟ قال: لا. ثم تأوّه فقال: قد بقّينا في ضرع الفُلانة[2] شيئاً لطارق إن طرق. قال: فأتِ به. فأتى العَطَن[3] فابْتعثَها، فما سمعتُ شيئاً قطُّ كان أشد من شَخْبِ تِيك الناقة في تلك العُلْبة[4]، حتى إذا ملأها، وفاضت من جوانبها، وارتفعت عليها رَغْوَة كجُمَّة الشيخ، أقبل بها يَهْوِي نحوي، فعثَر بعود أو حجر، فسقطتِ العُلبة من يده، فما أُصِبْتُ بمصيبة أفزغ لقلبي، ولا أعظم موقعاً عندي من انكفاء تلك العلبة على مثل الحال التي كنت فيها.

فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهراً سيفه، فبعثَ الإبلَ، ثم نظر إلى أعظمها سَناماً، ودفع إليَّ مُدْية، وقال: ياعبدالله، اصطلِ واحتمل.

فجعلت أهوي بالبَضعة[5] إلى النار، فإذا بلَغَتْ إناها[6] أكلتُها، ثم مسحتُ ما في يدي من إهالتها[7] على جلدي، وقد قَحِلَ[8] عليَّ عظمي، حتى كأنَّه شَنّ[9]، ثم شربتُ شربةَ ماءٍ، وخرَرْتُ مغشياً عليَّ فما أفقتُ إلى السَّحَر.

---

(١) وقر: ثقل.
(٢) الفلانة والفلان بالتعريف: كناية عن غير الآدميين.
(٣) العطن: مناخ الإبل حول وردها.
(٤) العلبة: قدح ضخم من جلود الإبل، أو من خشب يحلب فيها.
(٥) البضعة: القطعة من اللحم.
(٦) بلغ إناه: نضجه وإدراكه.
(٧) الإهالة: الشحم أو ما أذيب من الشحم.
(٨) قحل: يبس.
(٩) الشن: القربة الخلق الصغيرة.

وقطع زيادٌ الحديث، وقال: لا عليك ألَّا تخبرنا بأكثر من هذا، فَمن المنزولُ به؟ قلتُ: عامرُ بنُ الطُّفيل.

المحاسن والمساوىء: ٩٩

عيون الأخبار: ٣ ـ ٢٤٤، قصص العرب ١ ـ ٢٦.

(١١)

فداء عبدالله

كان عنوان هذه القصة كاهنة بني سعد وقد تم تعديل العنوان فقط

نذَر عبدُالمطلب بن هاشم أنه متى رُزق عشرةَ أولاد ذكوراً، ورآهم بَين يديه رجالاً أن ينحرَ أحَدَهم عند الكَعْبَةِ شكراً لربه!.

فلما استكمل وَلَدُه العَدد، وصاروا مِنْ أَظْهَرِ العُدَد، قال لهم: يابَنِيَّ؛ كُنتُ نذرتُ نَذْراً علمتموه قبل اليوم، فما تقولون؟.

قالوا: الأمرُ لك وإليك. ونحنُ بين يديك! فقال: لينطلق كلُّ واحدٍ منكم إلى قِدْحِه[١]، وليكتبْ عليهاسمه، ففعلوا؛ ثم أَتَوْه بالقِدَاح فأخذها.

ثمَ دعا بالأمين الذي يَضْربُ بالقداح، فدفع إليه قِدَاحَهم، وقال: حرِّك ولا تَعْجَلْ.

وكان أحبَّ ولد عند عبدالمطلب إليه عبدُالله. فضرب صاحبُ القِداح السهمَ، فخرج على عبدالله؛ فأخذ عبدالمطلب الشَّفْرَة[٢]، وأتى بعبد الله واضجعه بين إساف[٣] ونائلة وهَمّ بذبْحه، فوثب إليه ابنُه أبو طالب، وكان أخاه عَبْدِ الله لأبيه وأمِّه، وأمسك بيده عن أخيه.

---

(١) القدح: السهم.

(٢) الشفرة: السكين العظيم.

(٣) إساف ونائلة: صنمان كانا لقريش، وضعهما عمرو بن لحى على الصفا والمروة، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.

فلما سمعت بنو مخزوم بذلك ـ وكانوا أخواله ـ وَثَبُوا إلى عبدالمطلب، فقالوا: ياأبا الحارث، إنا لا نُسلم إليك ابنَ أختنا للذبح، فاذبحْ مَنْ شئتَ مِنْ ولدك غيره!.

فقال: إني نذرتُ نذراً، وقد خرج القِدْح، ولابدَّ من ذبحه! قالوا: كلّا! لا يكونُ ذلك أبداً، وفينا روُح؛ وإنَّا لنفْدِيه بجميع أموالنا من طارفٍ وتَالد.

ثم وثب الساداتُ من قريش إلى عبدالمطلب، فقالوا: ياأبا الحارث؛ إنَّ هذا الذي عزمْتَ عليه لعظيم، وإنك إن ذبحتَ ابنك لم تَهْنأ بالعيش من بعده، ولكن تثبّتْ حتى نصير معك إلى كاهنةِ بني سعد، فما أمرتكْ من شيءٍ فامْتَثِلْهُ.

فقال عبدالمطلب: لكم ذاك.

ثم خرج في جماعةٍ من بني مَخْزُومٌ نحو الشام(١) إلى الكاهنة؛ فلما دخلوا عليها أخبرَها عبدُالمطلب بما عزَم من ذَبْح ولده. فقالت الكاهنةُ: انصرفوا عني اليوم فانصرفوا.

وعادوا من الغَدِ، فقالت: كم دِيَةُ الرجلِ عندكم؟ قالوا: عشر من الإبل. قالت: فارجعوا إلى بلدكم، وقرِّبوا هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه وقدِّموا معه عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليه وعلى الإبل القِدَاح، فإن خرج القِدْحُ على الإبل فانحروها، وإن خرج على صاحبكم فزِيدوا على الإبل عشراً عشراً حتى يَرْضَى ربكم.

فانصرف القومُ إلى مكة؛ وأقبلوا عليه يقولون: ياأبا الحارث؛ إن لكَ في إبراهيم أسوةً حسنة؛ فقد علمْتَ ما كان من عَزْمه على ذَبح ابنه إسماعيل وأنت سيد ولد إسماعيل، فقدِّم مالَك دون ولدك!.

---

(١) في سيرة ابن هشام والطبري: فانطلقوا حتى قدموا المدينة.

فلما أصبح عبدُالمطلب قرَّبَ عَبْدَالله وعشراً من الإبل، ثم دعا بأمين القِداح وجعل لابنه قِدْحاً، وقال: اضرب ولا تَعْجَلْ، فخرج القِدْحُ على عبدالله، فجعلها عشرين، فضرب فخرج على عبدالله، فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القِدْح على عبدالله؛ فجعلها أربعين.. وكلما خرج القِدْح على ابنه زادها عشراً، حتى جعلها مائة، فضرب فخرج القِدْح على الإبل فكبَّر عبدُالله وكبَّرت قريش، وقالت: يا أبا الحارث؛ إنه قد رَضيَ رَبُّك، وقد نَجَا ابنُك من الذبح.

فقال: لا والله حتى أضرِب عليه ثلاثاً! فضرب الثانية فخرج على الإبل، فضرب الثالثة فخرج على ازبل، فعلم عبدُ المطلب أنه قد بلغ رِضَا ربه في فِدَاء ابنه.

فقُرِّبت الإبلُ، وهي مائةٌ من جلَّة إبلِ عبدالمطلب، فنُحِرَت كلها، فداءً لعبدالله، وتُرِكَتْ في مواضعها، لا يُصَدُّ عنها أحدٌ بنتابها ممن دبَّ ودَرَج(1)؛ وانصرف عبدالمطلب بابنه عبدالله فرحاً.

بلوغ الأرب: ٣-٤٦، ابن هشام: ١ - ١٠٣، الطبري: ٢ - ١٧٤، قصص العرب: ١ - ٨١.

(1) درج: مشى، ودب: مشى على هينته، والمقصود كل واحد.

١٢

في حفر زمزم

قال عبدُ المطَّلب بن هاشم: إني لنائم في الحجْرِ(١) إذ أتاني آتٍ، فقال: احفِر طِيْبَة(٢)، قلت: وما طِيبَة؟ فذهب عني. فلما كان من الغدِ رجعت إلى مَضْجَعي، فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احْفِر بَرَّة(٣)، فقلت: وما بَرَّة؟ فذهب عني. فلما كان الغَدُ رجعتُ إلى مضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احْفِر المضْنُونة(٤)، فقلت: وما المضنونة؟ فذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي، فنمتُ فيه فجاءني، فقال: احْفِر زمزم، إنك إن حفرتها لا تندم. فقلت: وما زمزم؟ قال: لا تُنْزَفُ أبداً ولا تُذَمّ(٥)، تَسقى الحَجيجَ الأعظم، وهي بين الفَرْثِ والدم(٦)، عند نُقْرَة الغُراب الأعْصم(٧)، عند قَرْيَةِ(٨) النمل.

---

(١) الحجر: ما حواه الحطيم بالكعبة من جانب الشمال.

(٢) طيبة ـ بكسر الطاء: اسم زمزم، قيل سميت بذلك لأنها للطيبين والطيِّبات من أولاد إسماعيل. أما طيبة بفتح الطاء فهي اسم لمدينة الرسول.

(٣) برة: اسم لزمزم أيضاً. قال في الروض الأنف: هو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار.

(٤) المضنونة: سميت المضنونة، لأنه ضنَّ بها على غير المؤمنين.

(٥) لا تذم: من قول العرب: بئر ذمة، أي قليلة الماء، والمعنى أن ماءها لا ينقطع أبداً.

(٦) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قريةالنمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم، فبينا هو كذلك ندت بقرة من جازرها، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام، فنحرها في الموضع الذي رسم لعبدالمطلب، فسال هناك الفرات والدم، فخفر عبدالمطلب حيث رسم له.

(٧) الغراب الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

(٨) شبه مكة ـ مكان زمزم ـ التي يرد إليهاالحجيج والعمار من كل جانب فيحملون إليها البر ولاشعير وغير ذلك، ولا لا تحرث ولا تزرع، بقرية النمل التي لا تحرق ولا تزرع ولا تبذر، وتجلب إليها الحبوب من كل جانب.

قال ابن إسحاق: فلمَّا بيَّن له شأنَها، ودلَّه على موضعها، وعرف أنه قد صدق غداً بمِعْوله، ومعه ابنه الحارثُ بنُ عبدالمطلب، ليس معه يومئذٍ ولده غيره فحفر فيها.

فلما بدا له الطَّويُّ[1] كبَّر، فعرَفتْ قريش أنه قد أدرك حاجَته، فقاموا إليه، فقالوا: ياعبدَالمطلب؛ إنها بئرُ أبينا إسماعيل؛ وإنَّ لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا فاعل؛ إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم، وأُعطِيتُه من بينكم. فقالوا له: فأَنْصِفنا؛ فإنَّا غيرُ تاركيكَ حتى نخاصِمَك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم مَن أُحَا كِمُكُم إليه، قالوا: كاهِنَةُ بني سَعْد. قال: نعم - وكانت بالشام.

فركب عبدُالمطلب ومعه نَفَرٌ من بني أميَّة من بني عَبْد مناف، ورَكب من كل قبيلة من قريش نفرٌ - والأرض إذ ذاك مَفَاوز - فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فَنِيَ ماءُ عبدالمطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهَلَكة، فاستسْقَوْا مَن معهم من قبائل قريش، فأبوْا عليهم؛ وقالوا: إنا بمفَازة ونحن نَخْشَى على أنفسنا مِثْلَ ما أصابكم.

فلما رأى عَبْدُالمطلب ما صَنع القوم؛ وما يتخوَّفُ على نفسه وأصحابه قال: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: ما رأْيُنا إلا تَبعٌ لرأيك، فمرْنا بما شئتَ. قال: فإني أرى أن يَحْفر كلُّ رجل منكم حُفْرَتَه لنفسه بما بكم الآن من القوَّة، فكلما مات رجلٌ دفعه أصحابُه في حُفْرَة، ثم وَارَوه حتى يكونَ آخرُكم رجلًا واحداً؛ فضيْعَةُ رجلٍ واحد أَيسَرُ من ضَيْعَةِ رَكْب جميعه. قالوا: نِعْمَ ما أمرتَ به! فقام كل واحد منهم فحفر حُفْرَته؛ ثم قعد ينتظر الموت عطشاً.

---

(١) الطوى: البئر المطوية بالحجارة.

ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموت لا نضربُ في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا ـ لَعُجْزٌ، فعسى الله أن يرزقَنا ماءً ببعض البلاد، ارْتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومَن معهم من قبائل قريش ينظرون إلى ما هم فاعلون، تقدَّم عبد المطَّلب إلى واحلته فركبها؛ فلما انبعث به انفجرتْ من تحت خُفِّها عينٌ من ماءٍ عذب، فكبَّر عبدالمطلب وكَبَّر أصحابُه؛ ثم نزل فشربَ وشربَ أصحابُه، واستقوُا حتى مَلئوا أسقيتهم.

ثم دعا القبائلَ من قُريش؛ فقال لهم: هَلُمُّوا إلى الماء فقد سقَانا الله؛ فاشربوا واستقوا. فجاءُوا فشربوا واسْتَقَوْا؛ ثم قالوا: والله قد قُضى لك علينا ياعبدَ المطلب؛ والله لا نخاصمُك في زمزم أبداً؛ إن الذي سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلَاة لَهُوَ الذي سقاك زَمْزَم! فارْجع إلى سِقَايَتِكِ رَاشِداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها!.

سيرة ابن هشام: ١ ـ ٩٨،

البداية والنهاية لابن كثير: ٢ ـ ٢٢٤، قصص العرب: ١ ـ ٩٥.

١٣

عبدالملك وابن هبيرة

قال عبدالملك بن عُمَيْر: قَدِمَ علينا عمر بن هُبَيْرَة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسمرنا عنده ثم قال: ليحدّثني كُلُّ رجل منكم أحدوثَة وابدأ أنت يا عَمْرو[١] فقلت: أصلح الله الأمير أحديثَ الحَقِّ أم حديث الباطل؟ قال: بل حديثَ الحق. قلت: إن امرأ القيس آلى بأَلِيَة: ألاَّ يتزوج بامرأة حتى يسألها عن ثَمَانِيَة وأربعة واثْنَتَين؛ فجعل يخطب النِّساء فإذا سألهنَّ عن ذلك قلن: أربعة عشرة.

فبينا هو يسير في جَوْف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً صغيرةً له كأنها البدر فأعجَبَتْه؛ فقال: ياجارية، ما ثَمانِيَة وأربعة واثنتان؟ فقالت له: أما الثمانية فأطباء الكَلْبة. وأما الأرْبَعة فأخلافُ النَّاقة. وأما الإثنَتَان فثَدْيَا المرأة. فَخَطَبها إلى أبيها فَزَوَّجها إياه. وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك وعلى أن يَسُوق إليها مِاَئة من الإبل وعشرة أَعْبُد وَعَشْرَ وصائف وثلاثةَ أفراس، ففعل ذلك.

ثم إنَّه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى لها حلَّة من عَصْب ونِحْياً من سمن ونِحْياً من عسل. فنزل العَبْدُ ببعض المِيَاه فَنَشَر الحُلَّة فلبسها فَتَعَلَّقت بسَمُرة[٢]

---

(١) يكنَّى عبدالملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو.

(٢) السمرة: الشوكة.

فانشقَت، وفتح النِّحْيين فأطعم أهلَ الماء منهما فَنَقَصا. ثم قدم على حيّ المرأة وهم خُلُوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها، فقالت له: أعْلِمْ مولاك أنَّ أبي ذهب يُقرِّب بعيداً ويُبَعِّد قريباً وأنَّ أمي ذهبت تَشُقّ النَّفْسَ نَفْسَين وأن أخي ذهب يُراعِي الشَّمْس، وأنَّ سماءكم انشَقت وأنَّ وِعاءيْكم نَضَبا.

فقدم الغلام على مولاه فأخبره. فقال: أما قولُها: ذهب أبي يقرِّب بعيداً ويبعد قريباً، فإنَّ أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه. وأما قولها: ذهبت أُمي تشقُّ النفس نفسين، فإنَّ أمها ذهبت تَقْبَلُ(١) امرأة نفساء. وأما قولُها ذهب أخي يُراعِي الشمس، فإنَّ أخَاها في سَرْح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس لِيَرُوحَ به وأمَّا قولها: فإن سماءكم انشقت، فإن البُرْد الذي بعثت به انشق. وأما قولها: فإن وعاءيكم نَضَبا، فإن النحيين اللذين بعثت بهما نَقَصا. فاصدُقْني.

فقال: يامولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتُهم أني ابنُ عمِّك، ونشرتُ الحلَّة وتَجَمَّلْت بها فلَبِسْتُها فتعَلَّقت بسَمُرَة فانشَقت، وفتحت النِّحيين فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أَوْلَى لك! ثم ساق مِائَةً من الإبل وخرج ومعه الغلام فنزل منزلاً فقام الغلام يسقي الإبل فعَجَز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر وخرج حتى أتَى المرأة بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها. فقيل لها: قد جاء زَوْجُك. فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جَزُوراً وأَطْعِمُوه من كَرِشها وذَنَبِها ففعلوا، فأكل ما أطعموه فقالت: اسقوه لبناً حازراً وهو «الحامض» فسقوه فشرب. فقالت: افرشُوا له عند الفَرْث والدم، ففعلوا فنام.

فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. قال: سَلِي عما بدا لك. فقالت: مِمَّ تَخْتَلِج شَفَتاك؟ قال: لتَقْبِيلي فَاك. قالت: فَلِمَ يَخْتَلج كَشْحَاك؟ قال:

(١) قبلت المرأة الولد: تلقته عند الولادة.

لالتزامي إيَّاك. قالت: مِمَّ يَخْتَلِج فَخِذَاك؟ قال: لتورُّكي إيَّاك. فقالت: عليكم العبدَ فشُدُّوا أَيْديَكم به فَعَلوا. ومر قَوْمٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البِئْر؛ فرجع إلى حَيِّه فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أَدْري أزوجِي هو أمْ لاَ! ولكن انحروا له جَزُوراً وأطعموه من من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا.

فلما أَتَوْ بذلك قال: وأين الكَبد والسِّنَام والمَلْحَاءُ[1] وأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبناً حازراً. فأتِي به فأَبَى أن يشربه وقال: أين الصَّرِيفُ[2] والرثيئة[3]؟ فقالت: افرِشُوا له عند الفَرْث والدَّم ففرشوا له فأبى أن يَنَام وقال: افرشوا لي فوقَ التَّلْعَةَ الحَمْرَاء، واضربوا عليها خِبَاء.

ثم أرسلت إليه: هَلُمَّ شَرِيطَتي عليك في المَسَائل الثلاث. فقال: سِلِي ما شِئْت فقالت مِمَّ تَخْتَلِج شَفَتَاك؟ قال: لرشْفي المُشَعْشَعَات. قالت: فلم يَخْتَلِج كَشْحَاك؟ قال: لِلُبْسِي الحِبَرات. قالت: فلم يختلج فَخِذاك؟ قال: لركضي المطهَّمات. قالت: هذا زَوْجِي لعَمْري! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هبيرة: حسبكم فلاَ خَيْر في الحديث سائر الليلة بعد حَدِيثك ياأبا عمرو؛ ولن يأتينا أعجب منه، وأمر لي بجائزة.

مختار الأغاني ١ ـ ٢٦٥

(١) الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير.
(٢) الصريف: الحليب الحار ساعة ينزل من الضرع.
(٣) الرثيئة: اللبن الخاثر.

١٤

الغضب لله والغضب للدينار

كان في قرية من قرى بني إسرائيل شاب صالح عابد وكان في القرية شجرة قديمة أوهمهم الشيطان أنها مباركة تمتاز بأسرار وعجائب فَفُتنوا بها وأخذوا يتقرَّبون إليها ويمنحونها من التعظيم والتقديس ما حقَّه أن يكون الله تبارك وتعالى فغضب الشاب لهذا الشرك وعزم أن يقطع الشجرةَ فيتخلص الناس من شر الشيطان وبينما هو في الطريق عرض له الشيطان فقال له إلى أين أيها الشاب؟ قال: إلى هذه الشجرة قال: وما حاجتك بها قال أقطعها.. قال: ولم؟ قال: لأن الناس فتنوا بها وعبدوها من دون الله والشاب هنا صادق النيَّة في العمل لوجه الله لا يبتغي شيئاً لنفسه فقال الشيطان لا لن تستطيع الوصول إليها وأمسك بالشيطان ورفعه بين يديه كما ترفع الريشة، وطرحه على الأرض وبرك على صدره وضيَّق عليه الخناق حتى احتبست أنفاسه وكادت روحه تزهق فأخذ الشيطان يستعطف الشاب ويتلطَّف إليه بالكلام اللينِّ ويرجوه أن يعفو عنه ويغفر له خطأه وظلَّ يتوسَّل ويتذلَّل حتى رقَّ له الشاب وخلَّى سبيله وهنا أخذ الشيطان يتودد إلى الشاب ويقول له: ياسيدي ما إن قصدي أن أمنعك عن قطع هذه الشجرة وإنما أريد أن تتركها يوماً أو يومين لأن لي مأرباً فيها فإذا قضيت مأربي منها لا يهمني بعد ذلك أبقيت أو قطعت وأنت الآن وشأنك بها إن شئت قطعتها وإن شئت أبقيتها.

إنك أحسنت إليَّ فعفوت عني ورددت عليَّ حياتي ووهبت لي عمري من جديد فإذا رأيت أن تضاعف مِنّتك وفضلك عليَّ فاترك لي هذه الشجرة يوماً أو أكثر حتى تنتهي حاجتي إليها ولك إن فعلت ذلك أن أعطيك ديناراً عن كل يوم ومازال الشيطان يدخل على الشاب بهذه المداخل الليِّنة حتى مال إلى إبقاء الشجرة وقال في نفسه وماذا عليَّ لو تركتها بضعة أيام لآخذ بضعة دنانير ثم أقطعها واتفق الشاب مع الشيطان على إبقائها بضعة أيام نظير دينار عن كل يوم ومضى كلٌّ إلى شأنه.

وفي اليوم التالي جاء رسول الشيطان ودقَّ الباب وأعطى الشاب وكان فقيراً ديناراً ففرح به وأنفق منه على نفسه وأمه واشترى لحماً وسمناً وخبزاً وفاكهة، وفي اليوم التالي جاء الرسول بالدينار الثاني فاشترى كسوة لنفسه ولأمه وتوالت الأيام وتوالت الدنانير وركن الشاب إلى النعيم المادي وأغضى عن الشجرة التي تعبد من دون الله.

وفي يوم من الأيام انقطع الرسول وانقطع الدينار فأخذ الشاب ينتظر طول نهاره فلم يجده الانتظار شيئاً ومضى اليوم الثالث والرابع.. كل ذلك والشاب يلتمس المعاذير لصاحبه ويعلِّل نفسه بالأباطيل حتى ملَّ الانتظار ويئس من زيارة الدراهم والدنانير.

وهنا فقط ذكر أمر الشجرة وقام يقطعها نكاية لصاحبة الذي قطع عنه راتبه العزيز فأخذ عدَّته ومضى إليها فقابله صاحبه الشيطان فقال له إلى أين أيها الشاب: قال إلى هذه الشجرة التي يعبدها الناس من دون الله فأقطعها لأنك قطعت عني الدينار اليومي!! هنا نجد الشاب تغيَّرت نيَّته ووجهته وأصبح يعمل لا غضباً لله ولكن غضباً للدينار فقال الشيطان هيهات هيهات لن تصل إليها وسأمنعك وأمسك بتلابيب الشاب فأمسك الشاب بتلابيب الشيطان وحاول أن يرفعه كما رفعه بالأمس القريب فأحسَّ أنه أثقل من جبل فرفعه الشيطان بين

يديه كما ترفع الريشة وطرحه على الأرض وبرك على صدره وضيَّق عليه الخناق حتى احتبست أنفاسه وكادت تزهق روحه فأخذ يستعطف الشيطان ويتودد له ويرجوه أن يعفو عنه وظلَّ يتوسل ويعطي العهود حتى قبل الشيطان تذلله. ولكنه أبى أن يتركه إلاَّ بعد أن قبل أن يفعل للشجرة مثل ما يفعل سائر الناس من الكفر عن طيب خاطر.

فلما خلَّى عنه شكره الشاب ثم سأله: إني لأعجب لأمر غريب لقد كنت في يدي كالريشة، بالأمس فغلبتك أما اليوم كنت أثقل عليَّ من جبل وكنت في يدك كالريشة، فما سر هذا..؟ فقال الشيطان:

لقد كنت بالأمس غاضباً لله عزَّ وجلَّ فوهب لك الله هذه القوة الجبارة التي صدعتني بها وأنا الذي أصرع الجبابرة أما اليوم فأنت غاضب للدينار فسلبك الله قوته وتخلَّى عنك ووكَّلك إلى الدينار وليس للدينار حول ولا قوة يمدُّك بها فغلبتك فخجل الشاب ونكس رأسه.

كتاب تذكرة الدعاة للبهي الخولي صفحة ٦٣.

١٥

سيف بن ذي يزن
والبشارة برسول الله ﷺ

لما ظَفِر سَيفُ[١] بنُ ذي يَزَن بالحبشة؛ أتى وفودُ العرب: خطباؤها وأشرافُها وشعراؤها لتَهنئتِهِ ومدْحه، وذِكْرِ ما كان من بلائه بثأر قومه. وقدَّم إليه وفدْ قريش، وفيهم عبدُالمطلب بن هاشم، وأميَّةُ بنُ عبدشمس، وعبدالله بن جُدْعان، وأَسَد بن خُوَيلد بن عَبد العُزّى، في ناسٍ من أشراف قريش. فلمَّا قدموا عليه وَجَدُوه في رَأْس قَصْرٍ يقال له غُمدان، فاستأذنوا عليه، فأذن لهم؛ فدخلوا عليه، فإذا الملك مُضَمَّخٌ بالعنبر[٢] يُرَى وَبيضُ الطِّيبِ من مَفرِقِهِ[٣]، عليه بُرْدَان مُؤْتَزِرٌ بأحدها، مُرْتَدٍ بالآخر، سيفُه بين يديه، وعن يمينه وعن يساره الملوكُ وأبناءُ الملوك والمقاول[٤].

فدنا عبدُ المطَّلب واستأذن في الكلام؛ فقال له: إنْ كنتَ مِمَّنْ يَتكلَّمُ بين يدي الملوك فتكلَّمْ، فقد أَذنا لك. فقال عبدالمطلب: إن الله أحلك ـ أيها الملك ـ محلاً رفيعاً، صَعْباً مَنيعاً، شامخاً باذخاً، وأنَبتك مَنْبتاً طابت أَرُومَتُه[٥]،

---

(١) هو ملك اليمن من قبل كسرى أنو شروان، كان يكاتبه ويصدر عن رأيه إلى أن قتل بيد الأحباش قبيل الإسلام.

(٢) التضميخ: لطخ الجسم بالطيب حتى كأنَّه يقطر.

(٣) الوبيض: اللمعان، ومفرق الرأس حيث يفرق فيه الشعر.

(٤) المقاول: جمع مقول، وهو الرئيس دون الملك.

(٥) الأرومة: الأصل.

وعزّت جُرْثُومَته[1] وثبت أصلُه، وبَسَقَ فَرْعُه[2]. في أكرم مَوْطن، وأطيب مَعْدن، وأنت ـ أبيتَ اللعن [3] ـ مَلِكُ العرب وربيعُها الذي به تُخصِب، وأنت ـ أيها الملك ـ رَأْس العَرب الذي إليه تنقاد، وعَمودها الذي عليه العِماد، ومَعْقلُها الذي تلجأ إليه العِبَاد، سلَفك خيرُ سلف، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَف، ولن يَخْملَ ذِكرُ من أنتَ سَلَفُه، ولن يهلِك مَنْ أنتَ خَلَفه. ونحن ـ أيُّها الملك ـ أهلُ حَرَم الله وَسَدَنَة بيته، أَشْخَصَنَا إليك الذي أبهجنا، لكشف الكَرْب الذي فدَحنا؛ فنحنُ وفدُ التَّهْنِئَةِ لا وفد المَرْزِئَة[4].

فقال ابنُ ذي يزن: فأيُّهم أنت أيها المتكلِّم؟ فقال: أنا عبدالمطلب بن هاشم. قال: ابن أختنا؟ قال: نعم ابنُ أختكم. قال: إدْنُ فأدْنَاه وقال: مرحباً وأهلاً، وناقةً ورَحْلاً، ومُسْتَنَاخاً سَهْلاً، ومَلِكاً رِبَحْلاً[5]، يُعطي عطاءً جزلاً. قد سمع الملكُ مَقالَتَكم، وعرف قرابَتَكم، وقَبِلَ وَسيلَتَكم، فأنتم أهلُ الليل والنهار، لكم الكَرامَةُ ما أقمتُم، والحِبَاءُ[6] إذا ظعنتم. ثم اسْتُنْهِضوا إلى دار الضيافة والوفود؛ فأقاموا شَهْراً لا يُؤذَنُ لهم ولا يَصِلُون إليه.

ثم انتبه انتباهةً؛ فأرسل إلى عبدالمطَّلب، فأخْلاه[7] وأدنى مجلسه، وقال: يا عبدَالمطلب؛ إني مُفْضٍ إليك مِنْ سِرِّي وعلمي ما لو كان غيرُك لم أَبُحْ له؛ لكنّي رأيتك مَعدِنَهُ، فَأَطلعتك عليه؛ فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه؛ فإنَّ الله بالغ أَمْرَه. إني أجدُ في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترنّاه

---

(١) الجرثومة: الأصل.
(٢) بسق: طال.
(٣) من تحيات ملوك العرب في الجاهلية.
(٤) رزأه ماله: أصاب منه شيئاً ورزأه رزءاً ومزرئه: أصاب منه خيراً، أي لسنا وافدين للعطاء.
(٥) الربحل: الكثير العطاء.
(٦) الحباء العطاء.
(٧) أخلاه: خلابه.

لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرفُ الحياة، وفضيلةُ الوَفَاة، وهو للناس عامة، ولرهطك كافَّة، ولك خاصَّة.

قال عبدُ المطَّلب: أيُّها الملك؛ فمثلُك مَنْ سَرَّ وبرَّ، فما هو، فِدَاكَ أهلُ الوَبَر، زُمَراً بعد زُمَر، قال: إذا وُلِد بتهامة غلام بين كتفيه شَامَة، كانت له الإمامَةُ ولكم به الزَّعَامَة، إلى يوم القيامة.

فقال له عبدُالمطَّلب: أبيتَ اللعن! لقد أُتيتُ بخبرٍ ما أُتِيَ بمثله وافد، فلولا هيبةُ المَلِك وإجلاله وإعظامُه، لسألتهُ مِنْ كَشف بشارته إياي ما أَزْدَادُ به سروراً.

قال ابنُ ذِي يَزَن: نبيٌّ هذا حِينهُ الذي يولَدُ فيه ـ أو قد وُلِدَ ـ اسمه أحمد؛ يموت أبوه وأمه، ويكفله جدُّه وعمُّه، والله باعثُهُ جهاراً، وجاعل منَّا له أنصاراً، يُعِزُّ بهم أولياءَه، ويُذِلُّ بهم أعداءَه؛ يُكَسِّر الأوثان ويُخْمِد النيران، ويعبد الرحمن، ويزجر الشيطان؛ قولُه فصلٌ، وحكمُه عَدْل؛ يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبدالمطلب: أيها الملك، عزَّ جَدُّك، وعلا كَعْبُك، وطاب مُلْكك، وطال عُمْرك! فهل سَارِّي بإفصاح؛ فقد أَوْضح بعض الإيضاح!.

فقال ابن ذدي يزن: والبيت ذي الحُجُب، والعلامات والنُّصُب[1]، إنَّك ياعَبْدَ المطَّلب، لجدُّه غير الكَذب، فخرَّ عبدالمطلب ساجداً ثم رفع رأسه؛ فقال له ابن ذي يَزَن: ارفع رأسك، ثَلِجَ صدرك، وعَلا أمرُك! فهل أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك؟ فقال: نعم؛ أيها الملك! كان لي ابنٌ وكنتُ عليه شفيقاً وبه رقيقاً، فزوَّجْتُه كريمةً من كرائم قَوْمي، وهي آمنة بنتُ وَهْب بن عبد مناف؛ فأتت بغلامٍ سَمَّيْته محمداً، مات أبوه وأمه، وكفلتُه أنا وعَمُّه، بين كتفيه شَامَة، وفيه كلُّ ما ذَكر الملكُ من علامة.

(١) النصب: كل ما عبد من دون الله، جمعه أنصاب.

قال ابن ذي يَزَن: إنَّ الذي قلتُ لك لكما قلتُ: فاحتفظ بابْنِك، واحذر عليه من اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولم يجعلَ الله لهم عليه سبيلاً، والله مظهرُ دَعْوَتَه، وناصرُ شَيعته، فاطْوِ ما ذكرتُه لك دون هؤلاء الرَّهط الذين معك، فإني لستُ آمن أن تُدَاخِلهم النَّفاسة[1]، من أن تكونَ لك الرياسة؛ فَيَبْغُون له الغوائل. وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون ذلك، أو أبناؤهم؛ ولولا أني أعلم أنَّ الموتَ يَحْتَاجُني مَبْعَثِه لسِرت بخيلي ورَجلي حتى أصيرَ بيَثْرب دارِ مُلْكه، فأكونَ أخاه ووزيره، وصاحبه وظهيرهُ؛ فإني أجدُ في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، أنَّ في يثربَ استحكامَ أَمْره، وأَهْلَ نُصْرَته، وارتفاع ذكره؛ وموضعَ قَبْره، ولولا الذَّمامة[2] لأظهرت أَمْرَه، وأوطأتُ العرب كَعْبَه على حداثةِ سنِّه؛ ولكني صارفٌ ذلك إليك، عن غير تقصير بك.

ثم أمر لكل رجُلٍ من القوم بعشرة أعبد وعشر إماء سُود، وحُلَّتين من حُلل اليمن، وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فِضَّة، وكَرِشٍ مملوءةٍ بالعنبر. ولعبدالمطلب بعشرة أمثال ذلك.

وقال له: إذا حال الحَوْلُ فأْتني بأمره وما يكونُ من خَبره. فمات ابنُ ذي يزن قبل أن يَحُولَ الحَوْلُ!.

فكان عبدالمطلب كثيراً ما يقول: يامعشرَ قريش؛ لا يَغْبِطَنِّي. رَجُلٌ منكم بجزيل عطاءِ الملك، وإن كان كثيراً، فإنَّه إلى نَفاذ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولِعَقبي ذكرُه وفَخْره وشَرَفه.

فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون ما أقولُ لكم بعدَ حين!.

البداية والنهاية لابن كثير: ٢ ـ ٢٣٨، الأغاني: ١٦ ـ ٧٥، طبعة بولاق، قصص العرب ١ ـ ٩٨.

---

(١) النفاسة: الحسد، نفس عليك فلان ينفس نفساً ونفاسة: حسدك.
(٢) الذمامة: كل حرمة تلزمك ـ إذا ضيعتها ـ المذمة.

١٦

ارحموا عزيزا ذل

وجَّه رسولُ الله ﷺ إلى طَيّء فريقاً من جنده، يَقْدُمُهم عليٌّ عليه السلام، ففزع عديٌّ(١) بن حاتم الطائي ـ وكان من أشدِّ الناس عدَاء لرسول الله ـ إلى الشام فصبَّحَ عليٌّ القومَ، واسْتاقَ خيلَهم ونَعَمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله.

فلما عرض عليه الأسرَى نهضتْ من بين القوم سَفّانة بنت حاتم؛ فقالت: يامحمد؛ هلَك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيتَ أن تُخلَى عني، ولا تُشمتَ بي أحياءَ العرب! فإنَّ أبي كان سيِّدَ قومه، يَفكُّ العاني(٢)، ويقتُل الجاني، ويحفظ الجارَ، ويحمي الذِّمار، ويُفَرِّجُ عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكَلَّ(٣)، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحدٌ في حاجةَ فردَّه خائباً، أنا بنتُ حاتم الطائي!.

فقال النبي ﷺ ياجاريةُ؛ هذه صفاتُ المؤمنين حقاً، لو كان أبوكِ مُسلماً لترحّمنا عليه خلُّوا عنها؛ فإن أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق.

---

(١) عدي بن حاتم: صحابي من الأجواد العقلاء كان رئيس قومه في الجاهلية والإسلام، وكان إسلامه سنة ٩هـ. وشهد فتح العراق، والجمل، والنهروان مع علي.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) الكل: العائل واليتيم.

ثم قال: «ارحموا عزيزاً ذلَّ، وغنياً افتقر، وعالماً ضاعَ بين جهال وامتنَّ عليها بقومها فأطلقهم تكريماً لها!.

فاستأذَنَتْهُ في الدعاء له؛ فأَذِنَ لها، وقال لأصحابه: اسمعوا وعُوا. فقالت: أصابَ الله ببِرِّكَ مواقعه ولا جعلَ لك إلى لئيمٍ حاجة، ولا سلبَ نعمةً عن كريمٍ قومٍ إلاَّ جعلَك سبباً في ردِّها عليه.

فلما أطلَقَها رجعتْ إلى أخيها عديّ وهو بدُومَة الجندل. فقالت له: ياأخي؛ إيْتِ هذا الرجل قبل أن تَعْلَقَكَ حبائلُه. فإني قد رأيت هَدْياً ورأْياً سيغلبُ أهل الغلبة؛ ورأيتُ خِصالاً تعجبني: رأيتُه يحبُّ الفقيرَ؛ ويفكُّ الأسيرَ؛ ويرحَمُ الصغيرَ، ويعرِف قَدْرِ الكبير؛ وما رأيتُ أجوَدَ ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًّاً فللسابق فضلُه، وإن يكن مَلِكاً فلن تزالَ في عزٍّ ملكه. فقدم عديّ إلى رسول الله ﷺ فأسلم، وأسلمت سفَّانَة!.

الأغاني: ١٦ ـ ٩٣، إنسان العيون ٢ ـ ٢٨٥،
غرر الخصائص: ١٢، قصص العرب: ١ ـ ١٨٠.

١٧

الحرب خدعة

لما اجتمعت الأحزاب على حرب رسول الله ﷺ عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجمّ غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين.

واشتدَّ الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ الأحزاب١٠ ـ ١١ فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: **خذل عنا إن استطعت فإنَّ الحرب خدعة.**

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتي بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية، فقال يابني قريظة قد علمتم ودِّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إنَّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم فإنَّ البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحوَّلوا منه إلى غيره وإنَّ قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لأنهم إن رأوا فرصة اغتنموها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة

لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً. قالوا: أشرت بالرأي.

ثم أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب وكان إذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودّي لكم وفراقي محمداً وأنه قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموه عليَّ قالوا نعم قال: اعلموا أن معشر يهود بني قريظة ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه يقولون: إنا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنسلمهم إليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فإن بعثوا إليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم.

فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان رؤوس بني غطفان إلى بني قريظة يقولون لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعتدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم إنَّ اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنَّا نخشى إن دهمتكم الحرب واشتدَّ عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله إن الذي حدَّثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة يقولون إنا لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل إنَّ الكلام الذي ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم إلاَّ أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك شمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش

وغطفان أنا لا نقاتل حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليم الريح فتفرَّقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه إلى اليقظة التي عم نفعها وحسنً وقعها.

المستطرف، ج٢ صفحة ١٠٤.

(١٨)

الوفـاء بالميثـاق

قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري وتلخيص معناها أنَّ ثعلبة هذا كان من أنصار النبي ﷺ فجاءه يوماً وقال يارسول الله داع الله أن يرزقني مالاً فقال له رسول الله ﷺ ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرَّة أخرى فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فقال رسول الله ﷺ ياثعلبة أمالك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضَّةً لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرَّة ثالثة فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق نبيًّا لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حقٍ حقَّه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة ما قال.

فاتَّخذ ثعلبة غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحَّى عنها ونزل وادياً من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود كان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له **حمامة المسجد** فلما كثرت الغنم وتنحَّى صار يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضاً عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يلتقي الناس ويسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يارسول الله اتَّخذ غنماً ما يسعها وادٍ فقال رسول الله ﷺ يا ويح ثعلبة.

فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرًّا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليَّ.

فانطلقا وسمع بها السلمي فنظر إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فإن نفسي به طيبة فمرًّا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأياً قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله ﷺ فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ التوبة ٧٥ ـ ٧٨

وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك ياثعلبةقد أنزل الله فيك كذا كذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل صدقته فقال إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثوا التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ. ولم يقبل منه شيئاً.

ثم أتى أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله ﷺ منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها.

فلما ولّي عمر رضي الله عنه فقال ياأمير المؤمنين إقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها.

ثم ولّي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبةفي خلافة عثمان رضي الله عنه، فانظر إلى سوء عاقبة غدره، كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقاً يخزيه يوم فاقته وفقره فأي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق. وأي سوء أقبح من غدر يسوق إلى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد إذا عدت مساوىء الأخلاق وكان يقال لم يغدر غادر إلاّ لصغر همّته عن الوفاء وانضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم.

المستطرف، ج١ صفحة ٢٠٩.

١٩

عند النجاشي

قال عمرو[١] بن العاص:

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدَق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون ـ والله ـ أني أرى محمداً يعلو الأمور عُلُوًّا منكراً؛ وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحَق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنَّا عند النجاشي، وإن ظهر قومُنا فنحن مَنْ قَد عَرَفُوا، فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا الرأي! قلت: فاجمعوا لنا ما نُهْدِيه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدَم.

فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنَّا لَعِنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْري ـ وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر[٢] وأصحابه. قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أميَّة الضَّمْري، لو قد دخلتُ على النجاشي فسألتُه إياه فأعطانيه، فضربت عنقه! فإذا فعلتُ ذلك رأتْ قريش أنِّي قد أجْزَأتُ عنها حين قتلتُ رسول محمد.

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل أحد دهاة العرب وفصحائهم وساستهم وفاتح مصر على عهد عمر بن الخطاب، توفي سنة ٤٣هـ.

(٢) هو جعفر بن أبي طالب، وكان قد هاجر إلى الحبشة.

قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديتَ إليَّ من بلادك شيئاً؟ قلت: نعم أيها الملك؛ قد أهديت إليك أَدَماً كثيراً؛ ثم قرَّبته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلتُ له: أيها الملك؛ إني قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك؛ وهو رسولُ رجلٍ عدوٌّ لنا، فأَعْطِينه لأقتلَه، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخِيارنا.

فغضب؛ ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنَّه قد كسره؛ فلو انشقَّت إلى الأرض لدخلتُ فيها فرَقاً[1] منه! ثم قلت له: أيُّها الملك، والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتُكَه! قال: أتسألني أن أُعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لِتَقْتُلَه قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو! أطِعْنِي واتَّبعه، فإنه والله لَعَلى الحقِّ، وليظهرنَّ على مَنْ خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: فبسط يده فبايعتهُ على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حالَ[2] رأيي عمَّا كان عليه، وكتمتُ أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ، فلقيتُ خالدَ بن الوليد، وذلك قُبيل الفتح، وهو مقبلٌ من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المِيسم، وإن الرجلَ لنبيٌّ، اذهب والله فأسْلم فحتى متى؟ قلت: والله ما جئتُ إلاَّ لأسْلم.

فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوتُ فقلت: يا رسولَ الله، إني أبايعك على أن يُغفَر لي ما تقدم من ذنبي،

---

(١) فرقاً: خوفاً.
(٢) حال رأيي: تغير.

ولا أذكر ما تأخر. فقال رسول الله ﷺ، يا عمرو، بايعْ فإن الإسلام يَجُبُّ[1] ما كان قبله، وإنَّ الهجرة تَجُبُّ ما كان، فبايعته ثم انصرفت.

الروض الأنف: ٢ ـ ١١٢

من قصص العرب ١/٢٠.

(١) يجب ما قبله: يقطع.

٢٠

حارس الثغور بين يدي الله

أخرج ابن إسحق عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتيَ زوجها وكان غائباً فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد (ﷺ) دماً فخرج يتبع أثر رسول الله (ﷺ) فنزل رسول الله (ﷺ) منزلاً فقال من يكلؤنا (يحرسنا) ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا نحن يا رسول الله قال: فكونا بضم الشعب من الوادي وهما عمّار بن ياسر وعباد بن بشر.

فلما خرجا إلى ضم الشعب قال الأنصاري للمهاجر أي الليل تحب ين أكفيكه أوله أم آخره قال بل أكفني أوّله فاضطجع المهاجر فنام وقام الأنصاري يصلِّي قال: وأتيَ الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم (الطليق الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو). فرمى بسهم فوضع فيه (فأصابه) فانتزعه ووضعه وثبت قائماً قال: ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه (فأصابه) فنزعه فوضعه وثبت قائماً ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهّب (أيقظ صاحبه). فقال اجلس فقد أُثبت (طعنت وحبست في مكاني) قال فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به (علما به) فهرب قال ولما رأى المهاجر ما بالأنصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتني (أيقظتني) أول ما رماك قال كانت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع عليَّ الرمي

ركعت فآذنتك وأيم الله! لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقُطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها..

حياة الصحابة الجزء الأول صفحة ٤٦٤

٢١

إسلام أبي ذر

قال أبو ذرّ(١): كنت رجلاً من غِفَار، فبلغنا أنَّ رجلاً قد خرج بمكَّة يزعمُ أنه نبيّ، فقلتُ لأخي: انطلِقْ إلى هذا الرجل وكلِّمه، وائتني بخبره؛ فانطلقَ فلقيَه، ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيتُ رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشرِّ، فقلت له: لَمْ تَشْفني من الخبر!

فأخذتُ جِراباً وعَصا، ثم أقبلتُ إلى مكَّة؛ فجعلت لا أعرِفُه، وأكرهُ أن أسأل عنه، وأشربُ من ماء زمزم، وأكون في المسجد؛ فمرَّ بي عليٌّ، فقال: كأنَّ الرجلَ غريب؟ قلت: نعم! فانطلقَ إلى المنزل وانطلقتُ معه لا يسألني عن شيءٍ ولا أُخبرهُ.

فلما أصبحتُ غدوتُ إلى المسجد لأسألَ عنه، وليس أحدٌ يخبرني عنه بشيء؛ فمرَّ بي عليٌّ، فقال: أما آنَ للرجل أن يعرفَ منزله بعد؟ قلت: لا، قال: انطلق معي، ثم قال: ما أمْرُكَ؟ وما أقدَمك هذه البلدة؟ فقلت: إن كتمتَ عليَّ أخبرتُكَ! قال: قال فإني أفعل، قلت له: بلغنا انه خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلتُ أخي ليكلّمهُ، فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردتُ

---

(١) هو من غفار، وهي قبيلة من كنانة، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق، ونه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه، حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله ﷺ، ومات بالربذة سنة ٣٢هـ.

أن ألقاه. فقال: أما إنك قد رُشِدت، هذا وجْهي إليه فاتَّبعْني، ادْخُلْ؛ حيث أَدْخل؛ فإني إنْ رأيتُ أحداً أخافه عليك قمتُ إلى الحائط كأني أُصلح نَعْلي وامضِ أنت.

فمضى ومضيتُ معه حتى دخل، ودخلت معه على النبي ﷺ، فقلت له: اعْرِض عليَّ الإسلام، فعرضَه، فأسلمتُ مكاني، فقال لي: يا أبا ذرّ، اكتُمْ هذا الأمر، وارجعْ إلى بلدك، فإذا بلغك ظُهُورُنا فأقْبل. فقلت: والذي بعثك بالحق لأصْرُخَنَّ به بين أظهرهم.

فجاء إلى المسجد، وقريشٌ فيه، فقال: يا معشرَ قريش؛ إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابيء[1]، فقاموا فضُرِبْتُ لأموت، فأدركني العباس، فأكبَّ عليَّ، ثم أقبلَ عليهم، فقال: ويلكم! تقتلون رجلاً من غِفَار وَمَتْجرُكم وممرُّكم على غِفار! فأقلعوا عني.

فلمّا أن أصبحتُ في الغد رجعتُ فقلت مثلَ ما قلتُ بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابيء، فَصُنِع بي مثلُ ما صُنِع بالأمس! وأدركني العباس فأكبَّ عليَّ، وقال مِثْلَ مَقَالَتِهِ بالأمس!

الزبيدي: ٢ - ٥٤،
قصص العرب: ١ - ١٨٧.

---

(١) صبأ: خرج من دين إلى دين.

٢٢

شجاعة أبي محجن الثقفي يوم القادسية

أخرج عبد الرزاق: عن ابن سيرين قال: كان أبو مِحْجَن الثقفي رضي الله عنه لا يزال يُجلد في الخمر. فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه. فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون فكأنَّه رأى أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين، فأرسل إلى أم ولد سعد أو إلى امرأة سعد ـ رضي الله عنهم ـ يقول لها: إنَّ أبا مِحجَن يقول لك: إن خلّيت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً ليكونَنَّ أوَّل من يرجع إليك إلا أن يُقتل، وأنشأ يقول:

كفىَ حزنًا أن تلتقي الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمت عنَّاني الحديدُ وغُلقت ... مصارعُ دوني قد تُصمُّ المناديا

فذهبت الأخرى. فقالت ذلك لامرأة سعد، فحلَّت عنه قيوده؛ وحُمل على فرس كان في الدار وأُعطي سلاحاً. ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه. فنظر إليه (سعد) فجعل يتعجَّب منه ويقول: من ذلك الفارس؟ فلم يلبثوا إلَّا يسيراً حتى هزمهم الله. ورجع أبو مِحجَن رضي الله عنه وردَّ السلاح وجعل رجليه في القيود كما كان. فجاء سعد رضي الله عنه فقالت له امرأته أو أم ولده: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أني تركت أبا مِحجَن في القيود لظننت أنها بعض شمائل أبي مِحْجَن. فقالت: والله إنه لأبو

مِحجَن كان من أمره كذا وكذا، فقصَّت عليه قصَّته. فدعا به وحلَّ قيوده وقال: والله! لا نجلدك على الخمر أبداً. قال أبو محجن رضي الله عنه: وأنا والله، لا أشربها أبداً، كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم. قال: فلم يشربها بعد ذلك.

حياة الصحابة، صفحة ٤٢، الاستيعاب، ج٤، صفحة ١٨٤، الإصابة، ج٤، صفحة ١٧٤

٢٣

أبو سفيان عند هرقل

قال أبو سُفيان[١] بن حَرْب:

كُنَّا قوماً تجاراً، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حَصَرتْنا حتى نهكتْ أموالنا. فلما كانت الهدنةُ ـ هُدْنة الحُديْبيةِ ـ بيننا وبين رسول الله ﷺ، خرجتُ في نفر من قريش إلى الشام، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزَّة، فقدِمْناها حين ظهرَ هِرَقلْ على مَن كان بأرضه من الفرس، فأخرجهم منها وانتزع منهم صَليبه الأعظمَ، وكانوا قد استلبوه إيَّاه.

فلما بلَغه ذلك منهم وبلغه أنَّ صليبَه قد اسْتُنْقِذَ منهم، وكانت حِمْصُ منزلَه، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رَدَّ عليه ما ردَّ، ليصلِّيَ في بيت المقدس، تُبْسط له البُسُط وتُلْقى عليها الرَّياحين.

فلما انتهى إلى إيلياء فقضى فيها صلاتَه، وكان معه بطارقتُه وأَشْرَافُ الروم، أصبح ذاتَ غُدْوَة مهموماً يقلِّب طَرْفه إلى السماء. فقال له بطارقتُه: والله لكأنَّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً.

فقال: أجل! رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الخِتان ظاهر. فقالوا: أيُّها الملك، ما

(١) هو صخر بن حرب، من سادات قريش في الجاهلية، كان من رؤساء المشركين يوم الأحزاب ويوم أحد، وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨هـ. وتوفي سنة ٣١هـ.

نعلم أمَّةً تختَّتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كل مَنْ لك عليه سلطان في بلادك فَمُرْه فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدِك منهم من يَهود، واسْتَرِحْ من هذا الهمّ.

فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبِّرونه إذ أتاه رسولُ صاحب بُصْرى[1] برجل من العرب يَقُوده ـ وكانت الملوك تَتَهادي الأخبار بينهم ـ فقال: أيها الملك؛ إنَّ هذا رجلٌ من العرب من أَهْل الشَّاء والإبل يحدِّث عن أمر حَدث فاسْأله.

فلما انتهى به إلى هِرَقلْ رسولُ صاحب بُصْرَى؛ قال هرقلُ لمن جاء به: سَلْه عن هذا الحديث الذي كان ببلده، فسأله، فقال: خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعمُ أنه نبيٌّ، وقد اتَّبعه ناسٌ فصدَّقوه وخالَفه آخرون، وقد كان بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ وتركتهُم على ذلك!

فلمَّا أخبره الخبرَ قال: جرِّدوه؛ فإذا هو مختونٌ. فقال: هذا والله النبيّ الذي رأيتُ، لا ما تقولون؛ أعطوه ثيابه ويَنْطلق، ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له: اقلب الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيَني برجل من قوم هذا الرجل.

فإنَّا لَبِغَزَّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرطتِهِ فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا: نعم، قال: انطلِقوا إلى الملك، فانطَلقوا بنا، فلمَّا انتهينا إليه قال: أنتم من رَهْطِ هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا: نعم. قال: فأيُّكم أَمَسُّ به رَحِماً؟ قال أبو سفيان: قلت: أنا، قال: ادنُ، ثم أَقْعِدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال لهم: إني سأسْأله، فإن كذَب فردُّوا عليه.

قال: فوالله لقد علِمتُ أنْ لو كذبتُ ما ردُّوا عليَّ، ولكني كنتُ أمرءاً سيداً أتبرَّم من الكذب، وعرفتُ أن أيسرَ ما في ذلك إن أنا كَذَبْته أن يحفظوه

---

(١) بلد من أعمال دمشق.

عليَّ؛ ثم يحدِّثوا به عني، فلم أكذِبْهُ.

وقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدَّعي ما يدَّعي. فجعلت أُزَهِّد له شأنَه وأُصَغِّرُ له أمرَه، وأقول له: أيُّها الملك، ما يهمُّك من شأنه! إن أمرَه دون ما بَلغك. فجعل لا يلتفتُ إلى ذلك مني. ثم قال: أنبئْني فيما أسألك عنه من شأنه. قلت: سَلْ عما بَدَا لك.

قال: كيفَ نَسَبُهُ فيكم؟ قلتُ: مَحْضٌ، هو أوسَطنَا[١] نسباً. قال: أخبرني، هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبَّهُ به؟ قلت: لا. قال: هل كان له فيكم مُلْك فسلبتموه إياه، فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه مُلكه؟ قلت: لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم مَنْ هُمْ؟ قلت: الضعفاء والمساكينُ والأحداثُ من الغلمان والنساء، فأمَّا ذَوُو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عَمنْ يتبعه أيحبُّه ويَلزَمُهُ، أم يَقليه[٢] ويفارقه؟ قلت: قلَّما يتبعه أحد فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قلتُ: سِجال يُدَال علينا ونُدَالُ عليه[٣].

قال: فأخبرني هل يَغْدِر؛ فلم أجد شيئاً أغتمزُ فيه غيرَها؛ فقلت: لا، ونحن منه في مُدة[٤] ولا نَأمنُ غدرَه. قال: فوالله ما التفتَ إليها منيٍّ.

ثم كرَّرَ الحديث فقال: سألتك عن نسبة فيكم؛ فزعمتَ أنَّه محض من أوسطكم نسباً فكذلك يأخذ الله النبيَّ لا يأخذُه إلَّا من أوْسط قومه نسباً، وسألتك: هل كان أحد من أهل بيته يقولُ مثل قوله فهو يتشبَّه به؟ فزعمتَ أن لا. وسألتك: هل كان له مُلكٌ فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب

(١) أي خيرنا وأفضلنا نسباً.
(٢) يبغضه.
(٣) يدال علينا وندال عليه: أي نغلبه مرة ويغلبنا أخرى.
(٤) في مدَّة: يعني بها مدَّة صلح الحديبية.

مُلكه؟ فزعمتَ أن لا وسألتك عن أتباعه، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحْدَاث والمساكين والنساء، وكذلك أَتْبَاعُ الأنبياء في كلِّ زمان. وسألتك عَمَّنْ يتبعه أيحبُّه ويَلزَمه أن يَقلبه ـويفارقه؟ فزعمتَ أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه، **فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرج منه.**

وسألتك عن الحرب بينكم وبينه، فزعمتَ أنها سِجَالٌ تُدَالون عليه ويُدَالُ عليكم، وكذلك حربُ الأنبياء، **ولهم تكونُ العاقبةُ**. وسألتُك: هل يَغدِر؟ فزعمتَ أن لا: فلئن كنتَ صَدَقتني عنه فَلَيَغْلِبَنَّ على ماتحت قَدَمَيَّ هاتين، وَلَوَدِدتُ أني عنده فأغسلُ قدميه! انطلق لشأنك.

فقمتُ من عنده وأنا أضربُ بإحدى يَدَيَّ على الأخرى وأقول: يا لعباد الله! لقد أَمِرَ[1] أَمْرُ ابن أبي كَبْشَةَ[2]! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفرَ[3] يَهابونه في مُلكهم وسلطانهم!.

الأغاني: ٦ ـ ٣٤٥، قصص العرب: ١ ـ ١٨٣.

---

(١) أمر: عظم.

(٢) أبو كبشة: رجل من خزاعة خلف قريشاً في عبادة الأوثان، وعبدالشعري العبور، فسمى المشركون النبي ﷺ ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله تعالى، تشبيهاً له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعري.

(٣) بنو الأصفر: لقب ملوك الروم.

٢٤

في يوم اليرموك

شهد اليرموك ألفُ رجل من أصحاب رسول الله فيهم نحو مائة من أهل بَدْر، وكان أبو سفيان يسير فيقفُ على الكَرَادِيس[١] فيقول: الله الله؛ إنكم ذَادَةُ[٢] العرب وأنصارُ الإسلام، وإنهم ذَادَةُ الروم وأنصار الشرك؛ اللّهمَّ إنَّ هذا يومٌ من أيامك، اللّهمَّ أنزل نصرك على عبادك.

وأمر خالد عِكْرِمَة[٣] والقَعْقَاع[٤]، فأَنْشَبَا القتال، وارتجز القعقاعُ وقال:

يا ليتني ألقاكَ في الطِّرَاد   قبل اعْتِرام[٥] الجَحْفَلِ الورَّادِ
* وأنتَ في حَلْبَتِكَ الورادِ[٦] *

وقال عكرمة:

قد علمتْ بهْكَنَةُ[٧] الجواري   أنِّي على مَكْرُمَةٍ أُحامِي

---

(١) الكردوسة: القطعة العظيمة من الخيل.
(٢) ذادة: جمع ذائد، وهو المدافع.
(٣) من صناديد قريش في الإسلام، كان هو وأبوه من أشد الناس على النبي، وأسلم في يوم الفتح فشهد الوقائع، وولِّي الأعمال لأبي بكر واستشهد سنة ١٥هـ.
(٤) أحد فرسان العرب وأبطالهم شهد اليرموك، وكان شاعراً فحلاً مات نحو ٤٠ هـ.
(٥) الاعترام: الاشتداد وفي حديث على «على حين فترة من الرسل واعترام من الفتن».
(٦) الحلبة: جماعة الخيل، والوراد جمع ورد، وهو الفرس بين الكميت والأشقر.
(٧) البهكة: الفتاة الغضّة.

فَنَشِبَ القتال، والْتَحَمَ الناس، وتطارد الفرسان؛ فإنَّهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول، وسألوه الخبر، فلم يخبرهم إلَّا بسلامة، وأخبرهم عن إمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله، وتأمير أبي عبيدة.

فأبلغوه خالداً فأخبره خبر أبي بكر أسرَّه إليه، وأخبره بالذي أخبر به الجند؛ فقال: أحسنت فقِفْ؛ وأخذ الكتاب، وجعله في كِنَانَتِه؛ وخاف إنْ هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند؛ فوقف مَحْمِيَة بن زُنَيْم ـ وهو الرسول ـ مع خالد وخرج جَرَجَة[1] حتى كان بين الصفين، ونادي: لِيَخْرُجْ إليَّ خالد.

فخرج إليه خالد، وأقام أبا عبيدة مكانه، فواقَفَهُ بين الصفَّيْن حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمّن أحدهما صاحبه؛ فقال جَرَجَة: يا خالد؛ أصدقني ولا تكذبني **فإن الحُرَّ لا يَكْذِبُ**، ولا تُخَادِعني **فإن الكْريم لا يُخَادع**، هل أنزل الله على نبيِّكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على قوم إلَّا هَزَمْتَهم؟ قال: لا! قال: فيم سُمِّيتَ سيفَ الله؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ بعث فينا نبيَّه، فدعانا فَنَفَرْنا عنه، ونَأينا جميعاً؛ ثم إن بعضَنا صدَّقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذَّبه، فكنتُ فيمن كذَّبه وباعده وقاتَله؛ ثم إنَّ الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابَعْنَاه، فقال: أنت سيفٌ من سيوف الله سلَّه الله على المشركين، ودعا لي بالنَّصْر، فسُمِّيتُ سيف الله بذلك؛ فأنا من أشدِّ المسلمين على المشركين، قال: صَدَقْتَني!.

ثم أعاد عليه جَرَجَةَ: يا خالد؛ أخبرني إلاَمَ تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله؛ قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجِزْيَةُ ونمنعه! قال: فإن لم يُعْطِها؛ قال: نُؤذِنه بحرب ثم نقاتله! قال: فما منزلةُ من يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال:

---

(١) جرجة: مقدم عسكر الروم يوم اليرموك.

منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضِيعنا وأوّلنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جَرَجَة: هل لمن دَخَلَ فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذُّخْر؟ قال: نعم، وأفضل، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه! قال: إنَّا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبيَّنا وهو حيّ بين أظهرنا تأتيه أخبارُ السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحُقَّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسْلِمَ ويُبَايع، وإنكم أنتم لم تَرَوْا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر بحقيقة ونيَّة كان أفضل منَّا.

قال جرجة: بالله لقد صدقْتني ولم تخادعني ولم تَأَلَّفْني. قال: بالله لقد صدقتُك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وَحْشَة، وإنَّ الله لوليٌّ ما سألتَ عنه. فقال: صدقتني، وقَلَب التُّرْسَ ومال مع خالد، وقال: علِّمني الإسلام؛ فمال به خالدٌ إلى فُسْطَاطه[1] فشنَّ عليه قِرْبَةً من ماء وصلَّى ركْعتين!.

الطبري: ٤ - ٣٤،
قصص العرب: ٣ - ٤٢٠.

---

(١) الفسطاط: الخيمة.

٢٥

رجل صدق الله فقتل شهيدا [١]

حدث عبدالرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمار عن شداد بن الهادي أن رجلا من الأعراب جاء النبي ﷺ فآمن به، واتبعه، فقال: أهاجر معك، وأوصى النبي ﷺ به بعض أصحابه.

فلما كانت غزوة خيبر ـ أو حنين ـ غنم رسول الله ﷺ، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم [٢] فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: قسمٌ قسمه الله لك ورسول الله ﷺ

فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا يا محمد؟ قال: قسم قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمي ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأدخل الجنة، قال: إن تصدق الله يصدقك

قال: فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو؟ صدق الله فصدقه، فكفنه النبي ﷺ في جبة للنبي ﷺ، ثم قدمه النبي ﷺ فصلى عليه، فكان مما ظهر من صلاته عليه: اللهم هذا عبدك، خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً، أنا عليه شهيد.

المصنف لأبي بكر الصنعاني ج٥ ص ٢٧٦.

(١) وضعت هذه القصة بدلا من قصة ـ المتكلمة بالقرآن ٤٥ التي نقلت إلى كتابنا ـ نساء ومواقف.
(٢) رواحلهم.

٢٦

عمر يكرم الأعرابية

حكى أبو عبيدة بسنده..

بينما عمر نصف النهار قائل في ظل شجرة وإذا أعرابية فتوسمت الناس فجاءته فقالت إني امرأة مسكينة ولي بنون وأنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً ـ تعني جابياً موزعاً للصدقة ـ فلم يعطنا فلعلَّك ـ يرحمك الله ـ أن تشفع لنا إليه: قال: فصاح ب (يرفأ) ـ خادمه أن ادع لي محمد بن مسلمة فقالت: أنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه فقال أنه سيفعل إن شاء الله.

فجاءه يرفأ فقال: أجب فجاء فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين: فاستحيت المرأة فقال عمر بن الخطاب والله ما آلو أن أختار خياركم كيف أنت قائل إذا سألك الله عزَّ وجل ـ عن هذه؟ فدمعت عينا محمد ثم قال عمر: إنَّ الله بعث إلينا نبيَّه ﷺ وصدَّقناه واتبعناه فعمل بما أمره الله به فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك.

ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنَّته حتى قبضه الله ثم استخلفني. فلم آل أن أختار خياركم، إن بعثتك فأدِّ إليها صدقة العام وعام أول، وما أدري لعلي لا أبعثك ثم دعا لهابجمل فأعطاها رقيقاً وزيتاً وقال خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر فإنا نريدها فأتته بخيبر فدعا لها بجملين آخرين وقال: خذي هذا

فإنه فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعام أول. .

الإسلام تأليف سعيد حوى صفحة ١٣٨

٢٧

إله عمر يعلم

نهى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته عن مَذْق[١] اللَّبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأةٍ تقول لابنةٍ لها: ألا تَمْذقين لبنك فقد أَصْبَحْت؟ فقالت الجارية: كيف أَمْذُق وقد نهى أميرُ المؤمنين عن المَذْق!

فقالت: قد مَذق الناسُ فامذُقي فما يدري أميرُ المؤمنين؟ فقالت: إن كان عمرُ لا يعلم فإله عمرَ يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتُها من عمر. فلما أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال: يا بنيّ، اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ـ وَوَصَفَها له ـ فذهب عاصم، فإذا جاريةٌ من بني هلال. فقال عمر: اذهب يا بني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يَسُودُ العرب، فتزوّجها عاصم بن عمر، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان؛ فأتت بعمر بن عبدالعزيز!

سيرة عمر بن عبدالعزيز: ١٧،

مجمع الأمثال: ٢ ـ ١٣٨، قصص العرب: ٢ ـ ٩٤.

---

(١) المذق: الخلط.

٢٨

تحمل الشدائد في سبيل الله

وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبدالله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ، فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا له: إن هذا من أصحاب محمد ﷺ فقال له الطاغية (لقب ملوك الروم) هل لك أن تَنَصَّرَ وأشركك في ملكي وسلطاني؟

فقال له عبدالله لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت قال: إذن أقتلك. قال: أنت وذاك فأمر به فصلب وقال للرماة ارموه قريبا من يديه، قريبا من رجله وهو يعرض عليه وهو يأبى ثم أمر به فأنزل ثم دعا بقِدْر نصب فيها ماء حتى احترقت،

ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى ثم أمر به أن يلقى فيها فلما ذهب به بكى، فقيل له أنه قد بكى، فظن أنه جزع فقال ردُّوه فعرض عليه النصرانية فأبى فقال: ما أبكاك إذن قال: أبكاني أني قلت في نفسي تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفسٌ تلقى في الله. قال له الطاغية هل لك أن تُقبِّل رأسي وأخلي عنك قال له عبدالله وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال وعن جميع أساري المسلمين. قال عبدالله فقلت في نفسي عدو من أعداء الله أقبِّل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي. فدنا منه فقبَّل رأسه فدفع إليه الأسارى،

فقدم بهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبر عمر بخبرهم فقال له عمر حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ. . فقام عمر فقبَّل رأسه.

حياة الصحابة صفة ٢٨٤.

٢٩

قد كاد أميركم يهلك

لَمَّا تكامل للمسلمين فتوحُ الشام؛ وأقاموا على دمشق شهراً؛ جمع قائدهُم ـ أبو عبيدة ـ أمراء المسلمين واسْتَشَارهم في المسير إلى قَيْسَارِيَّةَ[1] أو إلى بيت المقدس، فقال معاذُ بن جبل: أيُّها الأمير؛ اكتب إلى أمير المؤمنين عمر؛ فحيثُ أمرك فامتَثِلْهُ. فقال له: أَصَبْت الرأيَ يا معاذ!

ثم كتب إلى أمير المؤمنين عُمَر يعلمه بذلك، وأرسل الكتاب مع عَرفَجَة بن ناصح النَّخَعِي[2]، فسار حتى وصل إلى المدينة، فسلَّم الكتاب إلى عمر.

فقرأه على المسلمين واستشارهم، فقال عليّ بن أبي طالب: يا أميرَ المؤمنين، مُرْ صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فَتَح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قَيْسارِيَّة فإنها تُفْتَح بعدها إن شاء الله.

فدعا عمر بدواة وكَتَب: بسم الله الرحمن الرحيم. من عُمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة.

«أمَّا بعد، فإنِّي أَحْمَد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيِّه. وقد

(١) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تعد من أعمال فلسطين.
(٢) النخعي: نسبة إلى نخع، وهي قبيلة باليمن.

وصل إليَّ كتابُك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجَّه؟ وقد أشار ابنُ عم رسول الله ﷺ بالمسير إلى بيتِ المقدس، فإنَّ الله يفتحها على يديك، والسلام».

فلما وصل الكتابُ إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين؛ ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدَّمه الجيشُ إليها، وأقام المسلمون القتال عشرة أيام، وأهلُ بيت المقدس يُظهرون الفَرَح وعدمَ الخوف.

فلما كان اليوم الحادي عشر أشرفت عليهم رايةُ أبي عبيدة، وخالدُ عن يمينه وعبدُ الرحمن بن أبي بكر عن يساره؛ فضجَّ الناس بالتهليل والتكبير، ووقع الرُّعب في أهل بيتِ المقدس فاجتمعوا بقُمامة، وهي البِيعةُ[1] المعظَّمة عندهم.

فلما وقفوا بين البَطرَك[2] قال لهم: ما هذه الضَّجة التي أسْمَعُ؟ قالوا: قد قَدِمَ أميرُ المؤمنين ببقيَّة المسلمين.

فلما سمع ذلك تربَّد[3] وجهُه، وقال: إنا وجدنا في عِلمنا الذي ورثناه: أن الذي يفتح الأرضَ هو الرجل الأحمر، صاحب نبيهم محمد؛ فإن كان قَدِم عليكم فلا سبيل إلى قِتاله، ولا بدَّ أن أُشْرف عليه، وأنظر إلى صفته، فإن كان هو أَجَبتُهُ إلى مايريد، وإن كان غيره فلا بأس عليكم.

ثم وثب قائماً والقُسس والرهبان من حوله، وقد رفعوا الصُّلبان على رأسه، فصعدوا إلى السّور إلى أن ورد أبو عبيدة، فناداهم رجل من الروم: يا معشر المسلمين؛ كفُّوا عن القتال حتى نَسْألكم!

فأمْسك المسلمون عنهم فناداهم بلسانٍ عربي: اعلموا أنَّ الرجل الذي

(١) البيعة: متعبد النصارى، وجمعها بيع، وقمامة: كانت كنيسة للنصارى بدمشق، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة، ويروون أن المسيح قامت قيامته فيها.
(٢) البطرك: مقدم النصارى.
(٣) تربد: تغير.

يفتحُ جلدتنا هذه صِفَتُه عندنا؛ فإن كانت في أميركم لم نقاتلكم؛ بل نسلِّم إليكم وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلِّم إليكم أبداً.

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك؛ فخرج أبو عبيدة إليهم إلى أن حَاذاهم، فنظر إليه البَطْرك مليًّا، ثم قال: ليس هو الرجل؛ فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحَريمكم.

فلما نظر أهلُ بيت المقدس إلى شدَّة الحصار، ورأوا ما حلَّ بهم من المسلمين، وقفوا بين يدي البَطْرك، وقالوا: قد عظُم الأمر، ونريدُ منك أن تشرف على القوم وتسأل: ما الذي يريدون؟ فإن كان أمراً صَعْباً فتحنا الأبوابَ، وخرجنا إليهم، فإما أن نُقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا.

فأجابهم البَطْرك إلى ذلك، وصعَّد في السور، واجتمع القسيسون والرُّهبان حوله ونادى رجل: يا معشر الفُرْسان، عُمْدَة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم، فَلْيَدْنُ منّا أميركم.

فقام أبو عبيدة يمشي، ومعه جماعة من أصحاب رسول الله، فلما وقف بإزائهم قال: ما الذي تريدون؟ قال البِطْرك: إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تَصِلوا إلى فتح بلدتنا؟ وانما يفتحها رجل ليس معكم. قال ابو عبيدة: وماصفه من يفتح بلدكم قالوا: لا نخبركم بصفته! ولكن قرأنا أنَّ هذا البلد يفتحه صاحبٌ لمحمد يعرف بالفاروق[1] لا تأخذه في الله لومة لائم، ولسنا نرى صفته فيكم.

فلما سمع أبو عبيدة كلام البَطْرك تبسّم وقال: فتحنا البلد وربِّ الكعبة! ثم أقبل على البَطْرك وقال: إن رأيتَ الرجلَ أتعرفه؟ قال: نعم! وكيف لا أعرفه.

(١) لقب عمر بن الخطاب.

قال أبو عبيدة: هو والله خليفُتنا وصاحب نبيِّنا. قال: فإن كان الأمرُ على ما ذكرت فاحقن الدماء، وابعثْ إلى صاحبك، فإذا رأيناه وتَبَيَّنَّا نَعْتَه، فتحنا له البلد، وأعطيناه الجِزْية.

فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكفِّ عن القتال، وكتب إلى عمر يعلمه بالخبر.

فلمَّا وصل إليه الكتاب قرأه على المسلمين، وقال: ما تَرَوْن ـ رحمكم الله ـ فيما كتب إلينا أمينُ(١) الأمة؟ فكان أولَ من تكلَّم عثمانُ بن عفَّان، فقال: ياأمير المؤمنين، إن الله قد أذلَّ الروم، فإن أنتَ أقمتَ ولم تسِرْ إليهم علموا أنَّك بأمرهم مُسْتَخِفٌ، فلا يثبتون إلَّا يسيراً.

فلمَّا سمع عمرُ ذلك من عثمان جَزاه خيراً، وقال: هل عند أحدٍ منكُم رأيٌ غيرُ هذا؟ فقال عليّ ابن أبي طالب: نعم، عندي غيرُ هذا الرأي، وأنا أُبْدِيه إليك. فقال له عمر: وما هو ياأبا الحسن؟ قال: إنَّ القوم قد سألوك، وفي سؤالهم ذلّ وهو على المسلمين فَتْح، وقد أصابهم جَهْدُ(٢) عظيم، من البرد والقتال، وطول المقام وإن سرتَ إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة، وكان لك في مسيرك الأجرُ العظيم، ولستُ آمَن منهم أنهم إذا يَئِسوا منك أن يأتيَهم المَدَدَ من طاغيتهم؛ فيحصل للمسلمين بذلك الضرر. فالرأيُ أن تسير إليهم.

فقال عمر: لقد أحسن عثمانُ في المَكِيدَة للعدو، وأحسن عليٌّ النظرَ للمسلمين؛ جزاهما الله خيراً، ولستُ آخذُ إلا بمشورة عليّ، فما عرفْناه إلَّا محمودَ المشورة، مَيْمُونَ الطلْعة.

---

(١) هو أبو عبيدة.

(٢) الجهد: المشقة.

ثم إنَّ عمر أمرَ الناس أن يأخذوا الأُهْبة للمسير معه، واستخلف على المدينة عليّ بن أبي طالب، وخرج على بعير أحمر، عليه غِرَارَتان(١)، في إحداهما سَويق، وفي الأخرى تَمْر، وبين يديه قِرْبة، وخلفه جَفْنَةٌ للزَّاد.

وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس، فتلقَّاه أبو عبيدة؛ فلمَّا رآه أناخ قَلوصة(٢)، وأناخ عمر بعيره، وترجَّلا، ومدَّ أبو عبيدة يده، وصافح عمر، وأقبل المسلمون يسلمون على عمر، ثم ركبوا جميعاً إلى أن نزلوا، فصلَّى عمر بالمسلمين صلاة الفجر، ثم خطبهم، فلما فرغ من خُطبته جلس وأبو عبيدة يحدِّثُه بما لَقِي من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر، فأَذَّن بِلال في ذلك اليوم، فلما قال: الله أكبر! خشعت جوارحهم، واقشَعَرَّت أبدانهم، وحينما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله» بكى الناس بكاءً شديداً عند ذكر الله وذكرِ رسوله، فلما فرغ من الأذان صلَّى عمر، وجلس، ثم أمرهم بالركوب.

وركب هو ـ وكانت عليه مُرَقَّعة الصوف ـ فقال المسلمون: يا أمير المؤمنين، لو ركبتَ غيرَ بعيرك هذا جواداً، ولبست ثياباً لكان أعظمَ لهيْبَتِكَ في قلوب أعدائك! وأقبلوا يسألونه ويتلطَّفُونَ(٣) إلى أن أجابهم إلى ذلك، ونزع مرقَعَته، ولبس ثياباً بيضاً، وطرح على كتفيه منديلاً من الكَتّان دفعه إليه أبو عبيدة، وقدَّم له بِرْذَوْناً(٤) أشهب من بَرَاذِين الرُّوم.

فلمَّا صار عمر فوقه جعل البِرْذَون يُهَمْلج(٥) به؛ فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً، وقال: أَقِيلوني؛ أقال الله عَثَراتكم يوم القيامة! لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكِبْر!.

---

(١) الغرارة: الجوالق.
(٢) القلوس من الإبل: الشابة.
(٣) تلطفوا وتلاطفوا: رفقوا.
(٤) البرذون: الدابة. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب.
(٥) الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة.

ثم إنَّه نَزَع ثيابه وعاد إلى لبْس مُرَقَّعة، وركوب بعيره، فَعلَتْ ضَجَّة المسلمين، فقال البَطْرَك لقومه: انظروا: ما شأن العرب.

فأشرف رجلٌ منهم، فقال: يامَعْشر العرب، ما شأنكم؟ قالوا: إن عمر بن الخطاب قد قدم إلينا. فرجع هذا وأعلم البَطْرَك، فأطرق ولم يتكلَّم.

فلما كان الغد صلَّى عمرُ بالمسلمين، ثم قال لأبي عبيدة: تقدَّم وأَعْلمهم أني قد أتيت.

فخرج أبو عبيدة وصاح بهم: أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى، فما تصنعون؟ قال البَطْرَك: قل له يدنو منَّا، فإنا نعرفه بصفاته ونَعْتِه؛ وأفْرِدُوه من بينكم حتى نراه.

فرجع أبو عبيدة إلى عمر، فأخبره بما قال، فهمَّ عمر بالقيام فقال له بعض أصحابه: يُخشَى عليك من الإنفراد بلا عُدَّة.

فقال عمر: **لن يصيبنا إلا ما كَتَبَ الله لنا، هُوَ مَوْلَانا وعلى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنون**. ثم لبس مُرَقَّعته وركب بعيره، وأبو عبيدة سائرٌ بين يديه إلى أن أتى بإزاء البَطْرَك قريباً من الحصن.

فقال أبو عبيدة: هذا أمير المؤمنين. فمدَّ البطرك عنقه ونظر إليه فزَعَق(١)، وقال: هذا والله الذي صفتُه في كتبُنا!.

ثم قال: يا أهل بيت المقدس، انزلوا إليه، وخذوا منه الأمان والذِّمَّة، فهذا والله صاحبُ محمد.

فنزلوا مسرعين، وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدَّة الحصار، وفتحوا الباب، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد.

فلما رآهم عمر على تلك الحالة خرَّ لله ساجداً على قَتب[1] بعيره، ثم أقبل عليهم وقال: ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد.

فرجع القوم إلى البلد ولم يُغْلقوا الأبواب، ورجع عمر.

فلما كان الغد دخل عمر إليها، وخطَّ محراباً[2] وأقرَّ أهلها على عهدهم، وأداء الجِزْية[3].

المستطرف: ٢ ـ ١٥،

قصص العرب: ٣ ـ ٤٣٣.

---

(١) القتب: البرذعة على قدر سنام البعير.

(٢) المحراب: مقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس.

(٣) الجزية: خراج الأرض، وما يؤخذ من الذمى.

٣٠

جود عثمان بن عفان

أصاب الناسَ اقَحْطُ في خلافَة أبي بكر، فلما اشتدَّ بهم الأمرُ جاءوا إلى أبي بكر وقالوا يا خليفةَ رسول الله، إنَّ السماء لم تمطر، والأرضَ لم تنبُت، قد توقَّع الناس الهلاك؛ فما نَصْنَع فقال لهم: انصرفوا واصْبِروا، فإني أرجو الله ألَّا تُمْسُوا حتى يُفرِّج الله عنكم.

فلمَّا كان في آخر النهار وردَ الخبرُ بأنَّ عيراً لعثمان بن عفَّان جاءت من الشام. فلما جاءت خرج الناس يتلقَّوْنها، فإذا هي ألفُ بعير مُوسَقة بُرّاً وزَيْتاً وزبيباً، فأناخت بباب عثمان(١)، فلما جعلها في داره جاء التجَّار، فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريدُ! بِعْنا من هذا الذي وَصَلَ إليك، فإنَّك تعلمُ ضرورةَ الناس إليه! قال: حُبّاً وكرامة. كم ترْبحونني(٢) على شرائي؟ قالوا: الدرهم درهمين. قال أُعْطيتُ زيادةً على هذا. قالوا: أربعة. قال: أعطيت زيادةً على هذا. قالوا: خمسة. قال: أعطيت أكثرَ من هذا. قالوا: يا أبا عمرو، ما بقي في المدينة تجارٌ غيرنا وما سبقَنَا إليك أحدٌ، فمن ذا الذي

(١) عثمان بن عفان: ثالث خلفاء المسلمين، وكان غنياً لم يبخل بماله في سبيل الإسلام والمسلمين وانتهت خلافته بقتله سنة ٣٥ هـ.
(٢) أربحه على سلعته: أعطاه ربحاً.

أعطاك؟ قال: إنَّ الله أعطاني بكل درهم عشرة. أعندكم زيادة؟ قالوا: لا. قال: فإني أشهِدُ الله أني جعلتُ ما حملتْ هذه العيرُ صدقةً لله على المساكين وفقراء المسلمين.

غرر الخصائص: ١٥٣،

قصص العرب: ١ ـ ١٨٩.

٣١

عمر يتفقد رعيته

خرج أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في ليلةٍ، يطوف ويتفقّد أحوال المسلمين، فرأى بَيْتاً من الشَّعر مَضْروباً، لم يكن قد رآه بالأمس. فدَنَا منه؛ فسمع فيه أنينَ امرأة، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه وقال له: مَنِ الرَّجُل؟ فقال: رجلٌ من البادية، قدمتُ إلى أمير المؤمنين، لأُصِيبَ من فَضْله، قال: فما هذا الأنين؟ قال: امرأة مَخَّضَت[1]! قال: فهل عندها أَحَدٌ؟ قال: لا.

فانطلق عمر فجاء إلى منزله، فقال لأمرأته ـ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أَجْر قد ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو! قال: امرأةٌ مَخَّضَتْ ليس عندها أحد! قالت: ـ إن شئت! قال: فَخُذِي معك ما يصلح للمرأة من الخِرَق والتدهن، وائْتني بِقدْر وشَحْم وحبُوب. فجاءته به، فحمل القدر، ومشَتْ خلفه، حتى أتى البيت، فقال لها: ادخُلي إلى المرأة.

ثم قال للرجل: أُوقِدْ لي ناراً، ففعل، فوضع القدر بما فيها، وجعل عمرُ ينفخُ النارَ ويُضْرِمها، والدخانُ يخرج من خِلَال لحيته، حتى أَنْضَجَهَا، وولدتِ المرأة، فقالت أم كلثوم: بَشِّرْ صاحبَك يا أمير المؤمنين بغلام. فلما سمعها الرجلُ تقول: يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل، وقال: يا خَجْلَتاه منك يا أمير المؤمنين!

(١) مخضت: أتاها المخاض، وهو ما تشعر به المرأة قبيل الوضع.

أهكذا تفعلُ بنفسك! قال: يا أخَا العرب، من وُلِّي شيئاً من أمور المسلمين ينبغي له أن يطَّلع على صغير أمورهم وكبيرها، فإنَّه مسؤول، ومتى غفَل عنها خَسِرَ الدنيا والآخرة.

ثم قام عمر، وأخذ القِدْر، وحملها إلى باب البيت، وأخذتْها أم كلثوم، وأطعمت المرأة، فلما استقرَّت وسكنت طلعت أم كلثوم، فقال عمر رضي الله عنه للرجل: قمْ إلى بيتك وَكُلْ ما بَقِيَ في البُرْمَة(١)، وفي غَدٍ ائت إلينا.

فلما أصبح جاءه فجهَّزه بما أغناه به.

المستطرف: ٢ ـ ٩٣،

قصص العرب ٣ ـ ١١.

---

(١) البرمة: القدر.

٣٢

حق حماة الثغور في مال الدولة

لما قدم على عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص شاور أصحاب محمد (ﷺ) في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام، فتكلَّم قوم فيهم وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا، فقال عمر رضي الله عنه: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت؟ ما هذا برأي، فقال له. عبدالرحمن بن عوف فما الرأي؟ ما الأرض والعلوج إلا ما أفاء الله عليهم، فقال عمر: ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، والله ـ لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل، عسى أن يكون كلاً على المسلمين فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق؟

فأكثروا على عمر رضي الله تعالى عنه وقالوا: أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟ فكان عمر لا يزيد على أن يقول هذا رأيي قالوا: فاستشر قال فاستشار المهاجرين الأولين فاختلفوا فأمَّا عبدالرحمن بن عوف فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم ورأى عثمان وعلي وطلحة وابن عمر رضي الله عنهم رأي عمر.

فأرسل إلى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج، من كبرائهم وأشرافهم فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم فإني واحد كأحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق.. خالفني من خالفني ووافقني من وافقني ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي - أي رأيي - معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله لأن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلاّ الحق قالوا نسمع يا أمير المؤمنين.

قال: لقد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم وإني أعوذ بالله أن أركب ظلماً، لأن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيته غيرهم، لقد شقيت ولكني رأيت أنه لم يبق شيئاً يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه وانا في توجيهه (أي لا يزال في يدي منه شيء سأوجهه إلى من يستحق) وقد رأيت أن أحبس الأرضين، بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيها للمسلمين: المقاتلة، والذرية لمن يأتي بعدهم أرأيتم هذه الثغور لا بدَّ لها من رجال يلزمونها أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بدَّ لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطي هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج؟؟ قالوا جميعاً الرأي رأيك فنعم ما قلت ورأيت. **إن لم تشحن هذه الثغور وهذه وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم.**

فقال قد بان لي الأمر، فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض فوضعها ويضع على العلوج ما يحتملون؟ فاجتمعوا له على (عثمان بن حنيف) وقالوا إنَّ له بصراً وعقلاً وتجربة فأسرع إليه عمر فولاَّه مساحة أرض السواد».

بهذا استقرَّ الرأي بين المسلمين على حبس الأرض وفرض الخراج عليها وكان في هذا خير وبركة عليهم وعلى من جاء بعدهم.

من كتاب الإسلام تأليف سعيد حوى صفحة ٤٨٠.

٣٣

في فتح نهاوند

بعث عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه السائبَ بن الأقْرع مولى ثَقِيف، وكان رجلاً كاتباً حاسباً، فقال: الحق بهذا الجيش - جيش المسلمين بِنَهَاوَند - فكن فيهم، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيئهم، وخذ خمسَ الله وخمس رسوله، وإنْ هذا الجيشُ أُصيب فاذهب في سَوَادِ الأرض فبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين نهاوند أصابوا غنائمَ عظاماً، فوالله إنِّي لأقسِم بين الناس إذ جاءني عِلْج من أهلها، فقال: أتؤمّنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي على أن أدلَّك على كُنوز آل كسرى تكون لك ولصاحبك ولا يشركك فيها أحد؟ قلت: نعم! قال: فابعث معي من أدلَّة عليها، فبعثت معه، فأتى بسَفَطَيْنِ عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزَّبَرْجَدُ والياقوت.

فلمَّا فرغت من قَسْمي بين الناس احتملتهما معي، ثم قدمتُ على عمر بن الخطَّاب فقال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح، واستُشْهِدَ النعمان(١) بن مُقَرِّن رحمه الله، فقال عمر: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! ثم بكى فَنَشَجَ(٢).

---

(١) صحابي فاتح من الأمراء القادة الشجعان، فتح القادسية، وولاَّه عمر إمرة الجيش فغزا أصبهان ففتحها، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة ٢١هـ.

(٢) نشج الباكي: غص بالبكاء في حلقة من غير انتحاب.

فلمّا رأيت ذلك قلت: والله يا أميرَ المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يُعْرَف وجهه!

ثم قال ليدخل، فقلت: إنَّ معي مالاً عظيماً قد جئت به، ثم أخبرتُه خبر السَّفَطين، فقال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما، والحق بجندك، فأدخلتهما بيت المال، وخرجت سريعاً إلى الكوفة.

بات تلك الليلة التي خرجتُ فيها، فلما أصبح بعث في أَثَرِي رسولاً، فوالله ما أدركني حتى دخلتُ الكوفة، فأَنَخْتُ بعيري وأناخ بعيره على عُرْقُوبَيْ بعيري، فقال: إلحق بأمير المؤمنين؛ فقد بعثني في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن! قلت: ويلك! ماذا؟ ولماذا؟ قال: لا أدري والله.

فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه؛ فلما رآني قال: مالي ولابن أمّ السائب؟ بل ما لابن أم السائب ومالي؟ قلت: وما ذالك يا أمير المؤمنين؟ قال: **ويْحَك! والله ما هو إلا نِمْتُ في الليلة التي خرجتَ فيها فباتت ملائكة ربي تسحبني إلى ذينك السفطين يشتعلان ناراً، يقولون: لنكوينَّك بهما،** فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين، فخذهما عني لا أبا لك، والحق بهما فبعهما في أعطيات المسلمين وأرزاقهم!.

فخرجتُ بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة، فابتاعهما مني عمرو بن حُرَيث المخزوميّ بألفي درهم، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف.

الطبري: ٤ ـ ٢٣٢، قصص العرب: ٣ ـ ٤٢٥.

٣٤

قصة عمير بن سعد الأنصاري
رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في الحلية (ج١ ص٢٤٧) عن عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جدِّه عن عمير بن سعد الأنصاري - رضي الله عنه - قال: بعثه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عاملاً على حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبره. فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله! ما أراه إلَّا قد خاننا.

«إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا».

فأخذ عمير - رضي الله عنه - جرابه، فجعل فيه زاده وقصعته، وعلَّق أدواته وأخذ عَنَزَته[1] ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة قال: فقدم وقد شحب لونه واغبرَّ وجهه وطالت شعرته. فدخل على عمر - رضي الله عنه - وقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! فقال عمر: ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترى من شأني؟ ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم، معي الدنيا أجرُّها بقَرنها قال: وما معك؟ فظن عمر رضي الله عنه أنه قد جاء بمال. فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقَصْعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي

(١) العنزة: أطول من العصا وأقصر من الرمح.

وأدواتي أحمل فيها وَضوئي وشرابي، وعَنَزَتي أتوكأ عليها وأُجاهد بها عدواً إن عرض؛ فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي.

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: فجئت تمشي؟ قال: نعم. قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك. فقال عمر ـ رضي الله عنه: بئس المسلمون خرجت من عندهم. فقال له عمير ـ رضي الله عنه ـ: اتق الله ياعمر! قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة[1]. قال عمر: فأين بعثتك؟ وفي رواية الطبراني: فأين ما بعثتك به؟ وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله! فقال عمير: أما لولا أني أخشى أن أغمُّك ما أخبرتك.

بعثتني حتى أتيت البلد، فجمعت صُلَحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا. قال: جدِّدوا لعمير عهداً. قال: إنَّ ذلك لشيء[2] لا عملت لك ولا أحد بعدك، والله؛ ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني ـ أي أخزاك الله ـ فهذا ما عرضتني له ياعمر![3] وإنَّ أشقى أيامي يوم خُلّفت[4] معك ياعمر؛ فاستأذنه فأذن له فرجع إلى منزله قال: وبينه وبين المدينة أميال.

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ حين انصرف عمير ـ رضي الله عنه: ما أراه إلا قد خاننا. فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار. فقال له: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنَّك ضيف، فإن رأيت أثر شيّء فأقبل، وإن رأيت حالة

(١) صلاة الغداة: صلاة الصبح. وفي الحديث الشريف: من صلَّ الصبح في جماعة فهو في ذمَّة الله تبارك وتعالى فلا تخفروا الله تبارك وتعالى في ذمَّته.

(٢) إنَّ ذلك لشيء: أي لا أريده.

(٣) يقول عمير إنه قال لنصراني: أخزاك الله. وهو يتخوَّف من هذه الكلمة لأن فيها إيذاء لذميّ وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك.

(٤) يوم خلِّفت: أي بقيت ولم أمت في جملة من مات من الصحابة.

شديدة فادفع إليه هذه المائة الدينار. فانطلق الحارث فإذا هو بعُمير جالس يَفلي[1] قميصه إلى جانب الحائط. فسلَّم عليه الرجل فقال له عُمَير: انزل ـ رحمك الله ـ فنزل. ثم سأله فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة. قال: فكيف تركت أمير المؤمنين؟ قال: صالحاً. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابناً له أتى فاحشة، فمات من ضربه[2]. قال عمير: اللَّهمَّ أعن عمر، فإني لا أعلمه إلَّا شديداً حبِّه لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلَّا قرصة من شعير كانوا يخصُّونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد[3]. فقال له عمر: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحوَّل عنا فافعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح، وقال: لا حاجة لي فيها ردَّها. فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها[4]. فقال عمير: والله ما لي شيء اجعلها فيه. فشقَّت امرأته أسفل درعها[5] فأعطته خِرقة فجعلها فيها. ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً.

فقال له عمير: اقرأ مني أمير المؤمنين السلام. فرجع الحارث إلى عمر، فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت ياأمير المؤمنين؛ حالاً شديداً. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري. قال: فكتب إليه عمر إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال: أنشد عليك لتخبرنِّي ما صنعت بها. قال: قدَّمتها لنفسي. قال: رحمك الله! فأمر له بوَسق من طعام

---

(١) أي ينقيه من القمل.

(٢) جمهور العلماء على أنَّ قصة عمر مع ابنه هذه موضوعة.

(٣) يطوون حتى أتاهم الجهد: يبيتون جائعين حتى شق عليهم ذلك..

(٤) ضعها مواضعها: تصدق بها.

(٥) درعها: ثوبها.

وثوبين. فقال: أمّا الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك قد جاء الله تعالى بالرزق، ولم يأخذ الطعام. وأما الثوبان فقال: إنَّ أُم فلان عارية، فأخذهما ورجع إلى منزله فلم يلبث أن هلك، رحمه الله. فبلغ عمر ذلك فشقَّ عليه وترحَّم عليه فخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد(١). فقال لأصحابه: لِيَتَمَنَّ كل رجل منكم أمنية، فقال رجل: وددت ياأمير المؤمنين! أنَّ عندي مالاً فأعتق لوجه الله عزَّ وجل كذا وكذا، وقال آخر: وددت ياأمير المؤمنين! أنَّ عندي مالاً فأنفق في سبيل الله، وقال آخر: وددت لو أنَّ لي قوَّة فأمتح(٢) بدلو زمزم لحجاج بيت الله. فقال عمر: وددت أنَّ لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين.

حياة الصحابة: ٢٩٤.

---

(١) مقبرة أهل المدينة وقد كان فيه غرقد وهو نوع من شجرة الشوك.
(٢) أي أجذبها مستقياً.

٣٥

زعيم العجم وعمر بن الخطاب

لما أُتي بالهُرْمزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قيل له: ياأميرَ المؤمنين؛ هذا زعيمُ العَجَم، وصاحب رُستم(١)؛ فقال له عمر رضي الله عنه:

أَعْرِضُ عليك الإسلام نُصْحاً لك في عاجِلك وآجلك. فقال: إنَّما أعتقد ما أنا عليه، ولا أرغَبُ في الإسلام رهبةً. فدعا عمرُ بالسيف؛ فلمَّا همَّ بقتله، قال: ياأميرَ المؤمنين، شَرْبَةٌ من ماءٍ هي أفضلُ من قتلي على الظَّمأ؛ فأمر له بشربة من ماء، فلما أَخذَهَا الهُرْمُزَان قال: ياأمير المؤمنين، أنا آمن حتى أشْرَبَها؟ قال: نعم؛ فرمى بها، وقال. الوفاء - ياأمير المؤمنين - نورٌ أبلج! قال: صدقتَ! لك التوقُّف عنك، والنظر فيك، ارفعوا عنه السيف!.

فقال: يا أمير المؤمنين، الآن اشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، وما جاء به حقٌّ من عنده. فقال عمر: أسلمتَ خيرَ إسلام، فما أخَّرَك؟ قال: كرهت أن يُظَنَّ بي أني إنما أسلمتُ خوفاً من السيفِ، فقال عُمَر: ألا إنَّ لأهل فارسَ عقولاً استحقُّوا بها ما كانوا فيه من المُلْك، ثم أمر ببرِّه وإكْرامِهِ!.

نهاية الأرب: ٦ - ٧٧،
قصص العرب: ١ - ١٨٢.

---

(١) رستم: كان من أعظم رجال فارس، وقائد جيوش موقعة القادسية التي انتصر فيها المسلمون أيام عمر بن الخطاب، وقتل رستم في هذه الموقعة.

٣٦

بعد طعن عمر بن الخطاب

خرج عمرُ[١] بن الخطَّاب يوماً يطوفُ في السُّوق، فلقيَه أبو لُؤْلُؤَةَ غلامُ المغيرة بن شعبة ـ وكان نَصْرَانيًّا ـ فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ أعْدِني[٢] على المُغيرة بن شُعبَة، فإنَّ عليَّ خرَاجاً كثيراً. قال: وكم خرَاجُك؟ قال: دِرهمان في كل يوم. قال: ما صِناعتك؛ قال: نجَّار، نقَّاش، حدَّاد، قال: فما أرى خراجَك بكثير على ما تصنعُ من الأعمال، قد بلغني أنك تقول: لو أردتُ أن أعمل رحاً تطحن بالريح فعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحاً. قال: لئن سلمتُ لأعمَلَنَّ لك رحاً يتحدَّث بها مَن بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه.

فقال عمر: لقد تَوَعدَني العبد آنفاً، ثم انصر عمر إلى منزله، فلمَّا كان من الغد جاءه كعبُ الأحْبار فقال له: يا أميرَ المؤمنين؛ اعْهَدْ، فإنك ميِّتٌ في ثلاثة أيام، قال: وما يُدريك؟ قال: أجدُه في كتاب الله عزَّ وجل، التوراة. قال عمر: الله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة! قال: اللهمَّ لا؛ ولكني أجد صِفَتَك وحِلْيَتك، وأنه قد فَنِي أجلُك ـ وعمر لا يحس وجَعاً ولا ألماً.

فلمَّا كان من الغد جاء كعْب، فقال: يا أمير المؤمنين: ذهبَ يوم، وبقي يومان، ثم جاءه من غد، فقال: ذهب يومان؛ وبقي يوم وليلة، وهي لك إلى صبيحتها.

---

(١) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين، المضروب بعدله المثل، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر، وقتل سنة ٢٣هـ.

(٢) أعداه: أعانه.

فلما كان الصبحُ خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكِّل بالصفوف رجالاً، فإذا استَوَتْ جاء هو فكبَّر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنْجَر له رأسان، نِصَابُهُ[1] في وسطه، فضرب عمرَ ستَّ ضربات؛ إحداهن تحت سُرَّته، وهي التي قتلته.

فلما وَجَدَ عمر حرَّ السلاح سقط وقال: أفي الناس عبدُ الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ هوذا. قال: تقدَّم فصَلِّ بالناس. فصلَّى عبدالرحمن بن عوف، وعُمر طريح، ثم احتُمِلَ، فأدخِلَ دارَه.

ولما أَحَسَّ الناسُ قربَ موته قالوا له: يا أمير المؤمنين؛ لو استخلفت! قال: إنْ تركتُكم فقد ترَكَكم مَن هو خير مني، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم مَنْ هو خيرٌ مني، ولو كان أبو عُبيدة بن الجرَّاح حيّاً لاستخلفتُه، فإن سألني ربي، قلت: سمعتُ نبيَّك يقول: «إنَّه أمينُ هذه الأمَّة». ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستَخْلَفْتُه، فإن سألني ربي قلت: سمعتُ نبيَّك يقول: إن سالماً يحب الله حُبّاً، لو لم يَخَفْه ما عصاه[2].

قيل له: فلو أنك عهدتَ إلى عبدالله بن عمر؛ فإنَّه لذلك أهل؛ لدينه وفضله وقديم إسلامه، فقال: بِحَسْبِ آل الخطاب أن يحاسَبَ منهم رجلٌ واحد عن أمةُ محمد، ولوددت أني نجوتُ من هذا الأمر كَفَافاً[3]، لا لِي ولا عَلَيَّ.

ثمَّ رَاحُوا فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ لو عهدت! فقال: قد كنتُ أجْمَعتُ[4]

(١) نصاب السكين: ما يقبض عليه.
(٢) هذه الجملة تدل على تقرير عدم العصيان على كل حال، وعلى أن انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف أولى (المغنى ص٢٠٢ ج١).
(٣) الكفاف: الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه، وهو نصب على الحال، وقيل: أراد مكفوفاً عني شرها.
(٤) أجمعت: عزمت.

بعد مَقَالتي لكم أن أُوَلِّي رجلاً أمرَكم أرجو أن يحمِلَكم على الحق - وأشار إلى علي - ثم رأيتُ ألَّا أتَحَمَّلَها حيًّا وميتاً. فعليكم بهؤلاء الرَّهْط الذين تُوفِّيَ رسول الله وهو عنهم رَاضٍ: سعدُ بن أبي وقاص، وعبدُ الرحمن بن عوف، وعليُّ بن أبي طالب؛ وعثمانُ بن عفان، والزبيرُ بن العوَّام؛ وطلحةُ الخير.

وقال لعبد الرحمن ادْعُ عليًّا وعثمان والزبير وسعداً وقال: انتظروا أخاكم طلْحة ثلاثاً - وكان غائباً - فإن جاء وإلَّا فاقضُوا أمرَكم. أنشدُك الله يا عليُّ إن وليتَ من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بني هاشم على رِقاب الناس! أنشدُك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي مُعيط على رقاب الناس! انشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربَك على رقاب الناس؛ قُوموا فَتَشَاوَرُوا، اقْضُوا أمرَكم، ولْيُصَلِّ بالناس صهيب.

ثم دعا طلحة الأنصاريّ، فقال: قمْ على بابهم فلا تَدَعْ أحداً يدخلُ إليهم، وأُوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تَبَوَّءُوا الدار والإيمان: أن يحسِن إلى مُحْسنهم، وأن يعفُوَ عن مسيئهم، وأُوصي الخليفة من بعدي بالعرب، فإنَّهم مادَّةُ الإسلام؛ أن يأخذ من صدقاتهم حقَّها فتوضع في فقرائهم، وأُوصي الخليفة من بعدي بذمَّة محمد رسول الله؛ أن يُوفى لهم بعَهْدهم، اللَّهمَّ هل بلَّغت! تركتُ الخليفة من بعدي على أنْقَى من الراحة.

يا عبدالله بن عمر؛ أخرج فانظر مَنْ قتلني؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ قتلك أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة، قال: الحمدلله الذي لم يجعل مَنِيَّتي بيد رجل سجدَ لله سَجْدَةً واحدة، يا عبدالله بن عمر؛ اذهب إلى عائشة، فسلْها أن تأذَن لي أنْ أُدفن مع رسول الله وأبي بكر، يا عبدالله بن عمر؛ إن اختلف القوم فكُنْ مع الأكثر، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتَّبع الحزب الذي فيه عبدالرحمن، يا عبدَالله ائذن للناس.

فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلّمون عليه ويقول: أعَنْ ملأٍ منكم كان هذا؟ فيقولون: معاذ الله! ودخل في الناس كعب، فلما نظر إليه عمر قال:

فـأوعـدنِي كعبٌ ثـلاثـاً أعـدّهـا ولاشكّ أن القـول مـا قـال لي كعبُ
ومـا بي حـذارُ المـوت إنّي لميّتٌ ولكن حـذارُ الـذنب يتبعـه الـذنبُ

ثم فاضت روحه، رحمه الله.

تاريخ الطبري: ٥ ـ ١٢، العقد الفريد: ٢ ـ ٢٥٦، قصص العرب: ٣ ـ ٣٨٩.

---

(١) أي مشاورة من أشرافكم وجماعتكم.

٣٧

عمرو بن العاص وأحد كفار العجم

لما فتح عمرو بن العاص قَيْسَارِيَةَ(١) سار حتى نزل غزَّة؛ فبعث إليه عِلْجُها(٢): أن ابعثْ إليَّ رجلاً من أصحابك أكلِّمه؛ ففكَّر عمرو وقال: ما لهذا أحد غيري.

فخرج حتى دخل على العِلْج فكلَّمه؛ فسمع كلاماً لم يسمعْ قطُّ مثله، فقال العِلْج: حدِّثني؛ هل في أصحابك أحدٌ مثلك؟ قال: لا تسأل عن هذا! إني هينٌ عليهم؛ إذ بعثوا بي إليك، وعرَّضوني لما عرضوني له، ولا يدرون ما تصنعُ بي.

فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب: إذا مرَّ بك فاضربْ عنقه، وخذ ما مَعَه.

فخرج من عنده؛ فمرَّ برجل من نصارى غسَّان، فعرفه، فقال: يا عمرو: قد أحسنتَ الدخول فأحْسن الخروج! ففَطِن عمرو لما أراده، فرجع! فقال له الملك: ما ردَّك إلينا؟ قال: نظرتُ فيما أعطيتني، فلم أجد ذلك يَسَعُ بني عمي، فأردت أن آتيكَ بعشرة منهم، تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفُك

---

(١) بلدة بفلسطين.
(٢) العلج: الرجل من كفار العجم.

عند عشرة خيراً من أن يكونَ عند واحد! فقال: صدقتَ، اعْجلْ بهم! وبعثَ إلى البواب: أنْ خلّ سبيله!

فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أَمِن، قال: لا عدتُ إلى مثلها أبداً!

فلما صالحهُ عمرو ودخل عليه العِلْج، قال له: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غَدْرك.

العقد الفريد: ١ - ١٤٦،
قصص العرب: ٣ - ٤٢٧.

٣٨

اختبار الأجواد

تمارَى ثلاثةٌ في أجوادِ الإسلام، فقال رجل: أَسْخَى الناس في عصرنا هذا عبدُالله بن جعفر بن أبي طالب. وقال آخر: أَسْخَى الناس عَرَابة[١] الأَوْسي. وقال ثالث: بل قَيْس بن سعد[٢] بن عُبَادة. وأَكْثَرُوا الجدال في ذلك، وعَلاَ ضَجيجهُم وهُم بِفِنَاء الكعبة.

فقال لهم رجل: قد أَكْثَرْتُم الجدال في ذلك، فما عليكم أن يمضيَ كلُّ واحد منك إلى صاحبه يسألُه، حتى ننظرَ ما يُعطيه، ونحكم على العِيَان؟.

فقامَ صاحبُ عبدالله إليه، فصادفه قد وضعَ رجلَه في غَرْز[٣] ناقَتِه يريد ضَيْعَةً له، فقال: يابنَ عمِّ رسولِ الله! قال: ما تشاء. قال: أنا ابن سبيلٍ ومنقطع به، فأخرجَ رِجْلَه من غَرْز الناقة، وقال له: ضَعْ رجلك، واسْتَوِ على الراحلة؛ وخذْ ما في الحقيبة، واحتفظ بالسيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه!.

---

(١) عرابة الأوسي: من سادات المدينة الأجواد المشهورين أدرك حياة النبي ﷺ وأسلم صغيراً، وتوفى بالمدينة سنة ٦٠هـ.

(٢) كان من دهاة العرب وذويا الرأي الصائب، وكان شريف قومه غير مدافع، وعاش إلى أيام معاوية، ومات سنة ٥٨هـ.

(٣) الغرز: ركاب الرحل.

فجاء بالناقة، والحقيبةُ فيها مطارفُ[1] خَزّ، وأربعة آلاف دينار وأعظمُها وأجلُّها السيفُ.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عُبَادة، فصادفه نائماً، فقالت الجارية: هو نائم، فما حاجتُك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقَطع به، قالت: حاجتُك أهون من إيقاظه! هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار، والله يعلمُ أن ما في دار قيس غيره، خُذه؛ وامْضِ إلى مَعَاطن[2] الإبل، إلى أموالٍ[3] لنا بعلامتنا فخُذْ راحلةً من رواحله، وما يصلحها وعبداً، وامْضِ لشأنك!.

ولما انتبه قيس من رَقْدَتِه أخْبَرَتْهُ بما صَنَعَتْ فَأَعْتَقَها.

ومضى صاحب عَرابة الأوسيّ إليه؛ فألفاه قد خرج من منزله يريدُ الصلاة وهو يمشي على عَبْدين، وقد كُفَّ بصَرُه، فقال: ياعَرابة، ابنُ سبيلٍ ومنقطع به، فخلَّى العَبْدَين، وصفَّقَ بيُمْنَاه على يُسْراه، وقال: أَوَّاه! أواه ما تركت الحقوقُ لِعَرَابة مالاً، ولكن خُذْهما ـ يعني العبدين ـ قال: ما كنتُ بالذي أَقُصُّ جناحيك. قال: إن لم تَأْخُذْهما فهما حُرَّان، فإن شئتَ تأخذ، وإن شئت تَعْتِقْ، وأَقْبَلَ يلتمس الحائط، راجعاً إلى منزله.

فأخذهما صاحبُه، وجاء بهما إلى رِفاقه؛ فقالوا: إن هؤلاء الثلاثة أجودُ عصرهم، إلَّا أنَّ عَرَابة[4] أكثرهم جوداً لأنه أَعْطَى جهده.

ثمرات الأوراق للحموي: ١ ـ ١٠٢،
قصص العرب: ١ ـ ٢٢١.

---

(١) المطرف من الثياب: ما جعل في طرفه علمان.
(٢) المعاطن: جمع معطن، وهو مبرك الإبل.
(٣) أموال: تريد الإبل، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم.
(٤) وفي عرابة الأوسي يقول الشماخ المري:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

٣٩

حكيم !

لما مات بعضُ الخلفاء، اختلفت الروم، واجتمعت ملوكها؛ فقالوا: الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض، فتمكننا الغِرة[١] منهم والوثْبَةُ عليهم، وَعَقَدُوا لذلك المشورات، وتراجعوا فيه بالمناظرات، وأجمعوا على أنَّه فرصة الدهر.

وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة غائباً عنهم، فقالوا: من الحزم عرضُ الرأي عليه؛ فلما أخبروه بما أجمعوا عليه، قال: لا أرى ذلك صواباً، فسألوه عن علَّة ذلك؛ فقال: في غدٍ أخبركم.

فلما أصبحوا أتَوْا إليه، وقالوا: قد وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بالرأي فيما عوَّلْنا عليه؛ فقال سمعاً وطاعة! وأمر بإحضار كلبين عظيمين، كان قد أعدَّهما؛ ثم حرَّش[٢] بينهما، وحرَّض كلٍّ واحد منهما على الآخر؛ فتواثبا وتهارشا[٣]، حتى سالت دماؤهما.

فلما بلغ الغاية فتح باب بيت عنده، وأرسل على الكلبين ذئباً كان قد أعدَّه لذلك، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه، وتألَّفت قلوبهما ووثبا جميعاً على الذئب فقتلاه.

---

(١) الغرة: الغفلة.
(٢) التحريش: الإغراء.
(٣) المهارشة: تحريش الكلاب. بعض على بعض.

فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال: مثلُكم مع المسلمين مثلُ الذئب مع الكلاب؛ لايزال الهَرْج[1] بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم؛ فإذا ظهر تركوا العداوة بينهم، وتألَّفوا على العدو.

فاستحسنوا قوله، واستصوبوا رأيه، واتَّبعوا مشورته.

قصص العرب: ٤ ـ ٣٦١.

---

(١) الهرج: الفتنة والاختلاط.

٤٠

هرقل يختبر معاوية بن أبي سفيان

حكى أن هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله عن الشيء ولا شيء وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنّة وعن صلاة كل شيء وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرّة واحدة ولم تطّلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرّة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شيء تنفّس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن لمحو الذي في القمر.

فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت في شيء من ذلك سقطت من عينه فاكتب إلى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب إليه فأجابه أمّا الشيء فالماء قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء ٣٠ وأمّا لا شيء فإنها الدنيا تبد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا إله إلاّ الله وأمّا مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وأمّا صلاة كل شي فسبحان الله وبحمده وأمّا الأربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش إسماعيل وأمّا الرجل الذي لا أبٌ له فالمسيح وأمّا الرجل الذي لا أم له فآدم عليه السلام

وأمَّا القبر الذي جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به في البحر وأمَّا قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأمَّا البقعة التي طلعت عليها الشمس مرَّة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبني إسرائيل وأمَّا الظاعن الذي ظعن مرَّة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بنه وبين الأرض المقدَّسة أربع ليالٍ فلمَّا عصت بنو إسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد إن قبلتم التوراة كشفته عنكم وإلَّا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معذرين فردَّه الله تعالى إلى موضعه فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ الأعراف ١٧١ الآية وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فجشرة اليقطين التي أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأمَّا الشيء الذي تنفَّس بلا روح فالصبح قال الله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التكوير ١٨ وأمَّا اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل وبعد غد فأمل وأما البرق فمخاريق بأيدي الملائكة تضرب بها السحاب وأمَّا الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره وأمَّا المحو الذي في القمر فقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الاسراء ١٢ ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمَّم الله عليك ما ينت فيه وحقَّق ظنَّك فيما ترجوه وتفضَّل عليك بما لم تحتسبه.

المستطرف: ١ ـ ٤٧.

٤١

عند ملك الصين

أَوْغَل قُتَيْبَة(١) بن مسلم حتى قَرُب من الصين. فكتب إليه ملكُ الصين. أن ابعث إلينا رجلاً من أَشرَف مَنْ معكم يخبرنا عنكم ونُسَائله عن دينكم.

فانتخب قُتَيْبَةُ من عسكره اثنى عشر رجلاً، لهم جمال وأجسام وألْسُن وشعور وبأس، فكلَّمهم قتيبة وفَاطَنهم(٢)، فرأى عقولاً وجمالاً؛ فأمر لهم بعدَّة حسنة من السلاح والمتاع الجيِّد من الوَشْي والرقيق والنعال والعطر، وحملهم على خيول مُطَهّمة تقَادُ معهم ودوابَّ يركبونها.

وكان هُبيرة(٣) بن المُشَمْرَج الكلابيّ مفوَّهاً، فقال له: يا هُبيرةُ؛ ماذا أنت صانع؟ قال: أصلح الله الأمير! قلْ ما شئت أَقُلْهُ وآخذ به؛ قال: سيروا على بركة الله وبالله التوفيق، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت ألَّا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأَجْبي خراجهم.

فساروا وعليهم هبيرة بن المُشَمْعرج، فلمَّا قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم، فدخلوا الحمَّام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً تحتها الغَلائل، ثم مسوا

---

(١) أمير فاتح من رجال العرب، اتَّصل بالوليد بن عبد الملك فولاَّه خراسان، وغزا أطراف الصين وصرب عليها الجزية، واستمرَّت ولايته ١٣ سنة وقتل سنة ٩٦هـ.

(٢) فاطنه في الكلام: راجعه.

(٣) كان مع قتيبة حين غزا الصين وتوفي بفارس سنة ٩٦هـ.

الغالية[1]، ولبسوا النِّعال والأردية، ودخلوا عليه، وعنده عظماء أهل مملكته، فجلسوا، فلم يكلِّمهم هو ولا أحدٌ من جلسائه، فنهضوا.

فقال الملك لمن حضره: كيف رأيتم هؤلاء؟ قالوا: رأينا قوماً ما هم إلاَّ نساء، ما بقي منَّا أحدٌ حين رآهم إلاَّ وجد رائحتهم.

فلما كان الغد أرسل إليهم، فلبسوا الوَشْيَ وعمائم الخزّ والمَطارف[2]، وغَدَوْا عليه، فلمَّا دخلوا عليه قيل لهم: ارجعوا فقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا: هذه الهيئة أشبهُ بهيئة الرجال.

فلمَّا كان اليومُ الثالث أرسل إليهم فشدّوا عليهم سلاحهم، ولبسوا البَيْعض والمغَافر[3]، وتقلَّدوا السيوف، وأخذوا الرماح، وتَنَكَّبُوا القسيَّ، وركبوا خيلوهم وغدوا! فنظر إليهم صاحبُ الصين، فرأى أمثال الجبال مقبلةً، فلمَّا دنوْا رَكَزُوا رماحهم، ثم أقبلوا مشمرين، فقيل لهم قبل أن يدخلوا: ارجعوا، لما دخل قلوبهم من خوفهم.

فانصرفوا فركبوا خيولهم وحَملوا رماحهم، ثم دفعوا خيولهم كأنَّهم يتطاردون بها، فقال الملك لأصحابه: كيف تَرَوْنهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء قط!.

فلمَّا أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إليَّ زعيمكم وأفضلكم، بعثوا إليه هبيرة، فقال له حين دخل عليه: قد رأيتُم عظيمَ ملكي، وأنه ليس أحدُ يمكنكم مني وأنتم في بلادي، وإنَّما أنتم بمنزلة البَيْضَة في كفِّي. وأنا سائلك عن أمر فإن لم

---

(١) الغالية: الطيب.
(٢) المطرف: رداء من خز مربع ذو أعلام، وجمعه مطارف.
(٣) البيضة: الخوزة، وجمعه بيض، والمغعافر: جمع مغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنَّع بها المتسلِّح.
(٤) تنكب قوسه: ألقاه على منكبه.

تصدِّقني قتلتكم. قال: سَلْ، قال: لِمَ صنعتم ما صنعتم من الزّي في اليوم الأول والثاني والثالث؟ قال: أمّا زيّنا الأوّل فلبَاسُنا في أهالينا وريحنا عندهم، وأمّا يومُنا الثاني فإذا أتينا أمراءَنا، وأمّا اليوم الثالث فزيُّنا لعدوّنا، فإذا هاجنا هَيْجٌ وَفَزَعٌ كنّا هكذا قال ما أحسن ما دبرتم دهركم فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا: فإنّي قد عرفتُ حِرْصَه وقِلّـة أصحابه، وإلّا بعثتُ عليكم مَنْ يهلككم ويهلكهُ.

قال له: كيف يكون قليلَ الأصحاب مَن أولُ خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها وغَزَاك؟ وأمّا تخويفُك إيّانا بالقتل فإنّ لنا آجالاً إذا حضرت فأكْرمُها القتل، فلسنا نكرهُه ولا نخافُه.

قال: فما الذي يُرْضي صاحبك؟ قال: إنّه قد حلف ألّا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويُعطي الجِزْية. قال: فإنّا نخرجه من يمينه ونبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فَيطؤه، ونبعث إليه بِجِزْية يرضاها؛ ثم دعا بِصِحَاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب، ثم جزاهم فأحسن جوائزهم، فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قُتَيْبَة الجِْزْية وَوَطِىء التراب.

تاريخ الطبري: ٦ـ٥٠٢، قصص العرب: ٣ـ ٤٤٠.

(٤٢)

الحجاج وأنس بن مالك

حدَّث سعيد بن جُويرية قال:

خرجَتْ خارجةٌ على الحجاج بن يوسف، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معه فأبى؛ فكتب إليه يشتِمُه.. فكتب أَنَس بن مالك إلى عبدالملك بن مروان يشكوه، وأَدْرج كتاب الحجاج في جَوْف كتابه.

قال إسماعيل بن عبدالله: بعث إليَّ عبدُ الملك بن مروان في ساعة لم يكُنْ يبعثُ إليَّ في مثلها، فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حَنَقاً وغيظاً، فقال: يا إسماعيل، ما أشدَّ أن تقول الرعية: ضعُف أمير المؤمنين وضاق ذَرْعه في رجل من أصحاب النبيّ ﷺ؛ لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة!.

فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ؛ كتب إليَّ يذكر أنَّ الحجاج قد أضرَّ به وأسَاء جواره، وقد كتبت في ذلك كتابين: كتاباً إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج، فاقبضهما، ثم اخرج على البريد؛ فإذا وَرَدْت العراق فابدأ بأَنَس بن مالك، وادْفع إليه كتاب، وقل له: اشتدَّ على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك، ولنْ يأتيَ إليك أمر تكرهه إن شاء الله. ثم ائت الحجاج، فادفع إليه كتابَه وقل له: اغتَرَرْتَ بأمير المؤمنين غرَّة لا أظنه يخطئكَ شرُّها. ثم افهم ما يتكلَّم به وما يكون منه حتى تُفهمني إياه إذا قدمتَ عَلَيَّ إن شاء الله.

قال إسماعيل: فقبضْتُ الكتابين وخرجتُ على البريد حتى قَدِمْتُ العراق، فبدأت بأَنس بن مالك في منزله؛ ودفعت إليه كتابَ أمير المؤمنين وأبلغتُه رسالته فدعا له وجزاه خيراً. فلمّا فرغ من قراءة الكتاب قلت له: يا أبا حمزة؛ إنَّ الحجاج عامل، ويقْدِرُ أن يضرك ويَنْفَعَكَ، فأنا أُريد أن تُصَالحه، قال: ذلك إليك؛ لا أخرج عن رَأْيِك.

ثم أتيتُ الحجاج، فلمّا رآني رحَّب وقال: والله لقد كنتُ أُحِبُّ أن أراك في بلدي هذا؛ قلت؛ وأنا والله كنت أحبُّ أن أراك، وأقدم عليك بغير الذي أرسلتُ به إليك؛ قال: وما ذاك؟ قلتُ: فارقتُ الخليفة وهو أغضبُ الناس عليك؛ قال: ولِمَ؟ فدفعتُ إليه الكتاب؛ فجعل يقرؤه وجبينه يَعْرَق، فمسحه بيمينه، ثم قال: اركب بنا إلى أنس، قلت له: لا تفعل فإنِّي سأتلطَّف به حتى يكون هو الذي يأتيك، وذلك للذي أشرتُ عليه من مصالحتك.

وأُلْقِي كتاب أمير المؤمنين فإذا فيه: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. من عَبْدِالله عبدالملك بن مرْوان إلى الحجاج بن يوسف، أمَّا بعد، فإنَّكَ عبد طَمَتْ[1] بك الأمور فطغيت، وعلوت فيها حتى جُزْتَ قدرك، وعَدَوْت طَوْرَك، وأيم الله، لأغمزنَّك كبعض غَمَزات السُّيوف للثعالب، ولأرْكُضَنَّكَ ركضةً تَدْخُل منها في وِجَارك! اذكُر مَنَاسِبَ آبائك بالطائف، إذ كانوا ينقُلون الحجارة على أكتافهم، ويحفِرُون الآبار في المناهل[2] بأيديهم، فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضَّراعة؛ وقد بلغَ أميرَ المؤمنين استطالةٌ منك على أنس بن مالِك خادم رسول الله ﷺ؛ جُرْأَةً منك على أمير المؤمنين، وغرَّة بمعرفة غيرَه ونِقْماته وسَطَوَاته على مَنْ خالف سبيله، وعَمَد إلى غير محجَّته ونزل عند سخْطِته.

---

(١) طمت: علت.

(٢) المناهل: جمع منهل وهو المشرب.

وأظُنُّكَ أردت أن تروزَهُ[1] بها، لتعلم ما عنده من التغيير والنكير فيها، فإن سُوِّغتها مضيت قُدُماً، وإن غَصَصْت وليتَ دبُراً، فعليك لعنة الله، مِنْ عبدٍ أُخَيْفِش[2] العينين، أصكّ[3] الرجلين. وأيم الله، لو أنَّ أمير المؤمنين علم أنَّك اجترمت منه جرماً، وانتهكت له عرضاً لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن؛ حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب، ولم يَخْفَ على أمير المؤمنين تبوّؤك، ولكل نبإٍ مستقر، وسوف تعلمون».

قال إسماعيل: فانطلقتُ إلى أنس، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجَّاج، فلمّا دخلنا عليه قال: يغفر الله لك أبا حَمْزة! عجلت باللائمة، وأغْضَبْتَ علينا أمير المؤمنين، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير، فقال أنس: إنك كنت تَزْعُم أنَّا الأشرار والله سمَّانا الأنْصار، وقلت: إنَّا من أبخل الناس والله يقول فينا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. الحشر ٩ وزعمت أنا أهلُ نِفَاق والله تعالى يقول فينا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾. الحشر ٩ فكان المخرج والمشتكي في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين، فتولَّى من ذلك ما ولَّاه الله، وعَرَف من حقّنا ما جهلت، وحفِظَ منّا ما ضيَّعت، وسيحكم في ذلك ربٌّ هو أرضى للمُرضى، وأسخط للمُسْخط، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحقَّ عنده الباطل، ولا النور الظلمة، ولا الهدى الضلال، والله لو أنَّ اليهود أو النصارى رأتْ من خدم موسى بن عمران أو عيسى ابن مريم يوماً واحداً لرأتْ له ما لم تروا لي في رسول الله ﷺ عشر سنين!

---

(١) تروزه: تجربه.

(٢) الخفش: ضعف البصر مع ضيق في العين.

(٣) الصكك: أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أثراً.

فاعتذر إليه الحجّاج وترضّاه حتى قَبِلَ عذره ورضي عنه، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبدالملك بن مرْوان.

وكتب الحجّاج إلى عبدالملك: «إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مرْوان. بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمّا بعد ـ أصلح الله أمير المؤمنين، وأبقاه وسهّل حظّه وأحاطه، ولا أعدَمناه ـ فإنّما إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين ـ أعزّ الله نصره ـ قدم عليَّ بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه؛ وجعلني من كل مكروه فداءه ـ يذكر شتيمتي وتوبيخي بآبائي وتعييري بما كان قبل نزول النِّعمة بي من عند أمير المؤمنين ـ أتمّ الله نعمته عليه وإحسانَه إليه، ويذكرني أمير المؤمنين ـ جعلني الله فداءه ـ استطالةً مني على أَنَس بن مالك خادم رسول الله ﷺ».

«وأميرُ المؤمنين ـ أصلحه الله في قَرَابَتِه من محمد رسول الله ﷺ إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحقُّ من أَقَالَ عَثْرتي، وعفا عن ذنبي، فأمهلَني ولم يعجلني عند هَفْوتي؛ لِلَّذي جُبِل عليه من كَرِيمِ طبائعه، وما قلّده الله من أمور عباده، فرأى أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ في تسكين روعتي وإفْرَاجِ كربتي، فقد ملئت رعباً وفَرَقاً من سطْوته، وفُجَاءةِ نِقْمته. وأميرُ المؤمنين ـ أقاله الله العثرات، وتجاوز له عن السيئات، وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات ـ أحقُّ مَنْ صفح وعفا وتغمَّد(١) وتعمَّل وأبقى، ولم يُشْمِتْ فِيَّ عدواً مكبّاً(٢)، ولا حسوداً مُضِبّاً(٣)، ولم يجرِّعني غَصصاً، والذي وصف أميرُ المؤمنين من صنيعته إليَّ، وتنويهه لي بما اسْنَد إليَّ من عمله، وأوطاني من رقاب رعيته صادقٌ فيه مجزِيٌّ بالشُّكْرِ عليه، والتوَسُّلِ مِنِّي إليه بالولاية، والتقرُّب له بالكفاية».

---

(١) تغمد: ستر ما كان عنده.
(٢) أكبَّ عليه: إذا أقبل ولزم.
(٣) أضب: حمل الغيظ والحقد.

«وقد عاين إسماعيل بن أبي المهاجر رسولُ أمير المؤمنين وحاملُ كتابه نزولي عند مسرَّةِ أنس بن مالك، وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين، وإقاله إياي ودخوله بالمصيبة علي، ما سيعلمه أمير المؤمنين فإن رأي أمير المؤمنين ـ طوّقني الله بشكره، وأعانني على تأدية حقّه، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته، ومَدّ لي في أجله ـ أنْ يأمر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي، ويردّ ما شرد من نومي، ويطمئن به قلبي، فقد وَرَد عليَّ أمر جليل، خطبه عظيم، وأمره شديد».

«أسأل الله ألاّ يُسخط أمير المؤمنين، وأن يثبته في حَزْمه وعَزْمه، وسياسته وفراسته، ومواليه وحَشَمه، وعماله وصنائعه، ما يحمد به حسن رأيه وبعد همّته، إنه وليّ أمير المؤمنين، والذّاب عن سلطانه، والصانع في أمره والسلام».

قال إسماعيل: لمّا قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال: يا كاتب، أفْرِخْ روع أبي محمد، وكتب إليه بالرضا عنه!.

العقد الفريد: ٣ ـ ٢٤٢،

غرر الخصائص: ٧٣، قصص العرب: ٢ ـ ٣٨٦.

٤٣

ذكرتني يوم النفخ في الصور

قدم سَعِيد[١] بن جُبَيْر على الحجَّاج فقال له: ما اسْمُك؟ قال: سعيد، قال: ابنُ من؟ قال: ابنُ جبير، قال الحجاج: بل أنت شقي بنُ كسير. قال سعيد: أمّي أعلمُ باسْمي واسم أبي، قال الحجاج: شقيتَ وشقِيَتْ أمُّك. قال سعيد: الغيبُ يعلمُه غيرُك، قال الحجاج: لأورِدَنَّك حياضَ الموت! قال سعيد: أصابت إذنْ أمي اسمي.

قال الحجَّاج: لأبدِّلَنَّك بالدُّنْيا ناراً تلظَّى! قال سعيد: لو أعلم أنَّ ذلك بيدك لاتَّخَذْتُكَ إلهاً.

قال الحجَّاج: فما قولك في محمد؟ قال سعيد: نَبِيُّ الرحمة، وإمام الهدى. قال الحجاج: فما قولُك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل، كلُّ امرىء بما كسب رَهين. قال الحجاج: أشتُمهم أم أمدحهم؟ قال سعيد: لا أقول ما لا أعلم. قال الحجَّاج: أيُّهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي، قال: فأيُّهم أرضى للخالق؟ فقال: علمُ ذلك عند الذي يعلم سِرَّهم ونَجْواهم. قال

(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير وكان ورعاً تقياً، خرج مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث على عبدالملك بن مروان، فلمَّا قتل عبدالرحمن هرب سعيد فلحق بمكَّة، ولكن واليها يومئذٍ خالد بن عبدالله القسري أخذه وأرسله إلى الحجَّاج، فقتله سنة ٩٥هـ.

الحجاج: صِفْ لي قولَهم في عليّ؛ أفي الجنة هو أم في النار؟ قال سعيد: لو دخلت الجنةَ فرأيت أهلها علمتُ، ولو رأيتُ من في النار علمت؛ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب! قال الحجَّاج: فأيُّ رجل أنا يوم القيامة؟ قال سعيد: أنا أهونُ على الله من أن يُطْلِعني على الغيب. قال الحجَّاج: أبيتَ أن تصدِّقني. قال سعيد: بل لم أُرِد أن أكذِّبك.

قال الحجَّاج: دَعْ عنك هذا كله وأخبرني؛ ما لك لم تضحك قط؟ قال: لم أر شيئاً يُضحكني، وكيف مخلوقٌ من طين، والطين تأكله النار، ومُنْقَلبُه إلى الجزاء! قال الحجَّاج: فأنا أضحك؛ قال سعيد: كذلك خَلَقَنا الله أطواراً قال الحجاج: هل رأيت شيئاً من اللهو؟ قال: لا أعلم. فدعا الحجَّاج بالعود والناي، فلما ضُرِبَ بالعود ونُفخ في الناي بكى سعيد: قال الحجاج: ما يبكيك؟ قال: هو الحزن؛ ذكرتني أمرفا عظيماً. أمَّا هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور، وأمَّا العود فشجرة قطعت في غير حق، وأمَّا الأوتار فمن الشاء تُبْعَثُ معها يوم القيامة، فقال الحجاج: أنا أحبُّ إلى الله منك؛ أنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفُرْقَة. قال سعيد: ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة، ولكن قضاءَ الربِ نافذٌ لا مردَّ له.

قال الحجَّاج: كيف تَرَى ما نجمعُ لأمير المؤمنين؟ قال سعيد: لم أره. فدعا الحجَّاج بالذهب والفضَّة والكِسْوَة والجوهر، فَوُضِعَ بين يديه. قال سعيد: هذا حسنٌ إن قمتَ بشرْطه، قال الحجاج: وما شرطه! قال: أن تشتري لَه بما تجْمَع الأمنَ من الفزع الأكبر يوم القيامة، قال الحجَّاج: أتحبُّ أن تنالَ منه شيئاً؟ قال: لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله.

قال الحجَّاج: ويلك! قال سعيد: الويل لمن زُحْزِحَ عن الجنة فأُدْخِل النار، قال الحجَّاج: اذهبوا به فاقتلوه. فلمَّا أَدْبَرَ ضحك؟ قال: ما يضحكك يا سعيد! قال: عجبت من جرأتك على الله وحِلْمِ الله عليك، قال الحجاج:

اضربوا عُنُقه. قال سعيد: دعني أُصَلِّ ركعتين.

فاستقبل القبلة وهو يقول: **إني وجهتُ وجْهي للذي فطَرَ السمواتِ والأرض حَنِيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.** قال الحجاج: اصرفوه عن القبلة، قال سعيد: **فإينما تُوَلوا فثمَّ وجه الله إنَّ الله واسع عليم.** قال الحجَّاج: لم نُوَكَّلْ بالسرائر، وإنما وكِّلْنَا بالظواهر. قال سعيد: اللهمَّ لا تسلِّطْه على أحد يقتله بعدي.

ثم ثم ضربت عنقه.

المعارف لابن قتيبة: ١٩٧،

قصص العرب. ٢ ـ ٣٧٩.

٤٤

نصيحة

رَحَل الحجاج إلى عبد الملك بن مرْوَان ومعه إبراهيمُ بن محمد بن طلحة، فلما قدم على عبدِالملك سلَّم عليه بالخلافة، وقال: قدمتُ عليك ياأمير المؤمنين برَجُل الحجاز في الشرَّف والأبوَّة، وكمال المروءة والأدب، وحسن المذهب والطاعة، والنصيحة مع القرابة، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة، فالفعل به يا أميرَ المؤمنين ما يستحقُّه مثلُه في أبوَّتِه وشرفه.

فقال عبدالملك: يا أبا محمد، قد أذْكَرْتنا حقَّاً واجِباً، ائذنوا لإبراهيم!.

فلمَّا دخل وسلَّم بالخلافة أمره بالجلوس في صَدْرِ المجلس، وقال له: إنَّ أبا محمد ذكّرنا ما لم نَزَلْ نعرفُه منك من الأُبوَّة والشرف، فلا تَدَعْ حاجةً في خاصَّةِ أمرك وعامَّته إلاَّ سألتَها.

فقال إبراهيم: أمَّا الحوائجُ التي نبتغي بها الزُّلْفَى، ونرجو بها الثواب، فما كان خالصاً لله ولنبيِّه.

ولكنْ لك ياأمير المؤمنين عندي نصيحةٌ، لا أجدُ بُدّاً من ذكري إياها! قال: أهي دون أبي محمد؟ قال: نعم، قال: قم يا حجَّاج.

فنهض الحجاجُ خجِلاً لا يُبْصر أين يضع رِجْلَه.

ثم قال له عبدالملك: قل يابْنَ طلحة. قال: تالله يأمير المؤمنين، إنك عَمَدت إلى الحجاج، في ظلْمِه وتعدِّيه على الحق، وإصغَائِه إلى الباطل، فولّيته الحَرَمين، وفيهما مَنْ فيهما من أصحابِ رسول الله، وأبناء المهاجرين والأنصار، يَسومُهم(١) الخسْفَ، ويَطَؤُهم بطَغَامِ(٢) أهل الشام، ومن لا أرى له في إقامةِ الحق، ولا إزاحةِ الباطل.

فأطرق عبدُالملك ساعةً، ثم رفع رأسه، وقال: كذبتَ ياطلحة، ظنَّ فيك الحجاجُ غيرَ ما هو فيك! قُمْ فربما ظُنَّ الخيرُ بغير أهله!.

قال ابنُ طلحة: فقمتُ وأنا ما أُبْصر طريقاً، وأتبعني حَرَسِيّاً(٣)، وقال له: أشدُدْ يدك به. فمازلت جالساً حتى دعا الحجاج.

فمازالا يتناجيان طويلاً، حتى ساء ظنّي، ولا أشكُّ أنَّه في أمري، ثم دعا بي، فلقيَني الحجَّاج في الصَّحْن(٤) خارجاً، فقبَّل بين عينيّ، وقال: أحسنَ الله جزاءك! فقلت في نفسي: إنَّه يَهْزَأ بي، ودخلت على عبدالملك، فأجْلسني مجلسي الأول، ثم قال: يابنَ طلحة، هل اطّلَع على نصيحتِك أحد؟ فقلت: لاو والله يأمير المؤمنين، ولا أَرَدْتُ إلاَّ الله ورسولَه والمسلمين، وأميرُ المؤمنين يَعْلَمُ ذلك.

فقال عبدالملك: قد عزلتُ الحجَّاج عن الحرمين، لما كرهتَه فيه، وأعلمتهُ أنَّك استقْلت ذلك عليه، وسألْتَني له ولايةً كبيرة، وقد ولّيتُه العراقين، وقرَّرْتُ له أنَّ ذلك بسؤالك، ليلزمه من حقك ما لابدَّ له من القيام به، فاخْرُجْ معه غيرَ ذامٍّ لصُحْبَتِه.

المستطرف: ١ - ٢٢٦، قصص العرب: ٣ - ٣٩.

---

(١) يسومهم: يوليهم إياه ويريدهم عليه.
(٢) الطغام: أوغاد الناس.
(٣) الحرسى: واحد حرس السلطان.
(٤) صحن الدار: وسطها.

٤٥

لا أحمد إلا الله

أُتي الحجاجُ بقوم ممن خرجوا عليه، فأمر بهم فضُربت أعناقُهم، وأقيمتْ صلاةُ المغرب وقد بقي القوم واحداً، فقال لِقُتَيْبة بنِ مسلم: انصرف به معك حتى تَغْدُو به عليَّ.

قال قُتيبة: فخرجتُ والرجلُ معي، فلمّا كنّا ببعض الطريق قال لي: هل لك في خير؟ قلت: وماذاك؟ قال: إني والله ما خرجتُ على المسلمين، ولا استَحلَلت قِتَالهم؛ ولكن ابتُليتُ بما ترى، وعندي ودائع وأموال، فهل لك أن تُخَلِّيَ سبيلي، وتأذنَ حتى آتِيَ أهلي، وأَرُدَّ على كل ذي حقٍ حقَّه، وأُوصي؛ ولك عليَّ أن أرجعَ حتى أضعَ يدي في يدك؟ فعجبتُ له. وتضاحَكْتُ لقوله، ومَضَيْنا هُنيهة، ثم أعادَ عليَّ القول، وقال: إني أعاهدُك الله، لك عليَّ أن أعودَ إليك. فما ملكت نفسي حتى قلت له: اذهبْ!.

فلمّا توارى شَخْصُه أُسْقِط في يدي، فقلت: ماذا صنعتُ بنفسي؟ وأتيتُ أهلي مغموماً؛ فسألوني عن شأني فأخبرتهم، فقالوا: لقد اجترأْتَ على الحجاج.

فبتْنا بأطولِ ليلة، فلمّا كان عند أذَان الفجر إذا الباب يُطْرَق، فخرجتُ فإذا أنا بالرجل، فقلت أرجعْتَ؟ قال: سبحان الله! جعلتُ لك عهدَ الله عليَّ، أفأخونُك ولا أرجع! فقلت: أما والله إن استطعتُ لأنفعنَّك. وانطلقت به حتى أجلسْتُه على باب الحجاج، ودخلت!.

فلمّا رآني قال: ياقُتيبة؛ أين أسيرُك؟ قلت: أصلح الله الأمير- بالباب، وقد اتفق لي معه قصةٌ عجيبة، قال: ما هي؟ فحدثْتُه الحديث. فأَذن له فدخل، ثم قال: ياقتيبةُ، أتحبُّ أن أهبَه لك؟ قلت: نعم! قال: هو لك! فانصرفْ به معك.

فلمّا خرجتُ به قلت له: خذ أيَّ طريقٍ شئتَ، فرفع طرْفَه إلى السماء وقال: لك الحمدُ يارب، وما كلّمني بكلمة، ولا قال لي أحسنتَ، ولا أسأْتَ! فقلت في نفسي: مجنون والله! فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني، وقال لي جزاك الله خيراً، أما والله ما ذهبَ عني ما صنعت، ولكن كرهتُ أن أُشرِك مع حَمْد الله حمدَ أحد!!.

غرر الخصائص: ٢٠، قصص العرب: ٣ - ٤٣.

تم بحمد الله الجزء الأول
ويليه الجزء الثاني

فايز موسى أبو شيخة

رجال ومواقف

الجزء الأول

مكتبة الإسكندرية
Bibliotheca Alexandrina
0298148